

ناجحة البنينا قتيبة

ولم شكسبير



تعريب

خليل مطران



دار المعارف بمصر

اهداءات ٢٠٠١

لواء طبيب / عبد الحميد سلطان

الإسكندرية

ناجر البندقيّة

وليم شكسبير

تعريب
خليل مطران



الطبعة الثامنة



دار المعارف بمصر

الناشر : دار المعارف بمصر - ١١١٩ كورليش النيل - القاهرة ج. م. ع .

دراسة لمسرحية تاجر البندقية

مجمال الرواية

أنطونيو تاجر شريف النفس نزيه الطعمة من تاجر البندقية ، وقد سميت الرواية باسمه ، وعلى الرغم من استقامة الخلق عنده فإن موجة من الحزن تغلب على مزاجه . وقد حاول نفر من أصدقائه — وهم سالانيو وسالارينو وجراتيانو وباسانيو أن ينزعوا منه هذه التزعة الحزينة بإصفاهم الود لياه .

وكان باسانيو أدنى الأصدقاء مرتبة إلى قلب أنطونيو وأصفاهم له وداداً ، وهو شاب أعانه شبابه الغض وكرمه الواسع على أن يفقد ثروته . وكان قلب باسانيو يخفق بحب فتاة ثرية وإسعة الميراث اسمها بورسيا ، وهبت لها الأقدار من فضائل النفس ومواهب الخلق قدر ما وهبت لها من واسع الثراء . وقد أعانها مالها وفضائل النفس التامة فيها على أن يتقدم لبابها الخطاب من طبقة الأمراء والأشراف ليظفروا بها زوجة نادرة المثل . وكان من خطابها أمير مراكش وهو شاب أسمر الأديم لوحتته الشمس في مسقط رأسه ، وأمير أراغون ، وأمير نابلي ، وأمير ألماني ، وشريف إنجليزى ، ونبيل

إسكتلاندى . ودخل باسانيو بين هؤلاء الخطّاب الثّرين لعله يفوز بالفتاة بورسيا دوتهم جميعاً .

لم يكن أمر اختيار زوج من هؤلاء الخطّاب موكولاً إلى إرادة الفتاة نفسها ، ولكن أباهما أوصى قبل وفاته أن يكون ذلك إلى اقتراح على صندوق من صناديق ثلاثة : أحدها ذهبى ، والآخر فضى ، والثالث من مادة الرصاص . وفى هذا الأخير صورة لبورسيا ، فن وقع اختياره من الخطّاب على الصندوق الرصاصى كانت الفتاة من نصيبه ، وكان جديراً بالاقتراح بها .

ودخل باسانيو بين الخطّاب وهو مفلس من المال وغنى بالحب الملتج فى قلبه ، فاضطر أن يقرض المال الذى يتقرب به إلى بورسيا حتى يلبق به موضعه بين الخطّاب . فلجأ إلى صديقه الولى أنطونيو — أوتاجر البندقية — الذى كانت أمواله وعروضه كلها على سفته وفلكه المشحون فيما وراء البحار . فاضطر أنطونيو — وفاء بحق صديقه باسانيو — أن يقرض المال باسمه من يهودى فى مدينة البندقية اسمه شيلوك . وقبل أنطونيو الرق شرطاً وضعه اليهودى فى الصك ، وهو أنه إذا فات الأجل المضروب لوفاء الدين استحق شيلوك اليهودى على أنطونيو المسيحى أن يقتطع رطلاً من اللحم من صدره . . وقد رضى أنطونيو بهذا الشرط القاسى الوحشى قياماً بحق صداقة باسانيو عليه . ورضى أن يقرض من شيلوك على الرغم من كراهته له واحتقاره إياه ، لأنه كان نهازاً لسماحة النصارى من أهل

البندقية الذين كثيراً ما أؤذوا من ربه الفاحش .
وتقدم باسانيوليخطب بورسيا على الطريقة التي أوصى بها أبوها الميت
من الاقتراع على الصناديق . وقد أدنى الطمع الخطاب من الصندوق
الذهبي أو الفضي فباعوا بالخيبة في خيرة لم يكن لهم فيها الخير . . وكأنما
ألم باسانيو الخير الذي شاءه الله له — كما تقضى بذلك حبكة الرواية —
فوقع اختياره على الصندوق الرصاصي الذي يبشر مختاره بقبوله زوجاً لهذه
الفتاة الثرية العاقلة .

وبينما باسانيو في نشوة أفراحه لخروج الاقتراع على ما يهواه ، ولظفروه
بفتاة أحلامه إذا به يعلم أن خسراً كبيراً قد حل بعروض أنطونيو وأنسفته
قد تعرضت لثورة البحار ، وأنه أصبح بذلك عاجزاً عن الوفاء بدين اليهودى
في أجله . وأن اليهودى قد أمعن في المطالبة بتنفيذ حرقية الصك —
أى اقتطاع رطل من اللحم من جسد أنطونيو — ما دام قد فات أوان
أداء الدين .

وترك باسانيو عروسه الجميلة في زحمة الأفراح بالزواج منها ، مصمماً
على أن يخلص حياة صديقه الوفي أنطونيو من يد شيلوك اليهودى الذى
لا يرحم ، ولو كان في ذلك حظه هو . لأنه لا ينسى أن أنطونيو استدان
المال من اليهودى لأجله هو لا لأجل نفسه .

ولما علمت بورسيا بالأمر كله وطلدت عزمها على أن تدافع عن
أنطونيو وأن تخلصه من المحنة التي وقع فيها مع شيلوك المصمم على الوفاء

بشرط الصك ، وهو اقتطاع رطل من لحم أنطونيوس الذى لا ينفعه الآن في نظر اليهودى مال مهما طال . . .

وتنكرت بورسيا في زى محام من الفتيان وأجادت الدفاع عن أنطونيوس الذى لم يعرفها ، كما لم يعرفها زوجها باسانيو ، لأنها كانت متنكرة . واستطاعت في ذكاء وحسن حيلة أن تحبل شيلوك اليهودى إلى راج ذليل . . . فقد استعملت شرط اقتطاع اللحم ضده ، مصممة على أن يكون اللحم بلا قطرة من دم ، تمشياً مع حرفية النص الذى ينص على أن رطل اللحم بلا دم . . . وهكذا كان القانون على شيلوك لاله ، واضطرته بورسيا — وهى في ثوب فتى محام — أن يكتب أمام دوق البندقية عهداً على نفسه بأن ينزل عن كل ثروته يوم وفاته لابنته جسيكا التى كانت سرت قسطاً من ذهب أبيها وأثمن جواهره وهربت بها مع عشيقها المسيحى لورنزو وهو واحد من أصدقاء أنطونيوس .

ومن عجب أن يعيش لورنزو وجسيكا بنت شيلوك في بيت بورسيا الضخم خلال اشتغال هذه بالدفاع — متنكرة — عن أنطونيوس أمام محكمة البندقية وعلى مشهد من الدوق .

وبعد انتهاء المحاكمة إلى المصير الذى صارت إليه بنجيبة شيلوك اليهودى وخسرانه وفقدانه ثروته ، وصيرورته مديناً ذليلاً محروماً بعد أن كان دائماً طاغياً متجبراً — بعد هذا تنتهى الرواية بوصول أوثق الأخبار عن نجاة سفين أنطونيوس مما كان قد أشيع عن هلاكها ، وتحتم المسرحية ختاماً

معيداً يجتمع فيه الأزواج باسانيو وبورسيا ، ولورنزو وجسيكا ، كاياتقى معهم صديقهم الوفى أنطونيو الذى عادت إليه سفنه وأمواله سليمة صحيحة ، كما عادت إلى جسيكا — ابنة شيلوك وزوجة لورنزو — أموال أبيها شيلوك الذى تمثلت فى جشعه وحققه وفساد طبعه وقساوة قلبه حفنة من أخلاق قومه . . .

منابع هذه الرواية

قصة تاجر البندقية منسوجة من خيوط متنوعة قديمة قدم الطبيعة البشرية ، حتى ليؤكد مؤرخو الأدب الإنجليزى أن هيكل الرواية كله ليس لشكسبير فيه إلا فضل الحكمة الفنية . فإن حكاية الاقتراع على الصناديق ، وحكاية اقتطاع رطل من اللحم البشرى مما يرتد إلى أصول تاريخية قديمة من المحتمل أن تكون شرقية . على أن حكاية الصناديق — كما جاءت فى مسرحية تاجر البندقية — موجودة فى مجموعة لاتينية من القصص تسمى : « Gesta Romanorum » جمعت فى سنة ١٣٠٠ . وقد ترجمت إلى الإنجليزية وطبعت بواسطة « Wynkiv de Worde » ، وكانت شائعة بين الإنجليز فى عصر أليصابات إلى حد أنها طبعت ست مرات بين سنتى ١٥٧٧ و ١٦٠١ ، أى فى شباب الشاعر شكسبير .

أما حكاية اقتطاع رطل من لحم الإنسان فهى موجودة فى الأساطير الآرية وفى الأدب الشرقى جملة والمصرى القديم خاصة . وقد ظهرت فى

الأدب الإنجليزي في قصيدة «Cursor Mundi» سنة ١٣٢٠، وهي قصة دينية شُرط فيها اقتطاع بضعة من اللحم من غير أن تراق قطرة من الدم . ولعل مرد هذا الجزاء القاسى إلى القانون الرومانى العنيف الذى يعطى الدائن حق اقتطاع فلذة من لحم المدين . . . ولقد ظهرت قبل شكسبير قصص لا بأس بعددها تروى فيها حكاية الرطل من اللحم البشرى كالقصة التى كتبها بالفرنسية « . ألكسندر سلفاين » وترجمها إلى الإنجليزية « L'P London » سنة ١٥٩٦ . ولعل أقرب هذه الحكايات شهاً بحكاية شكسبير فى مسرحيته تاجر البندقية هى حكاية « Pecorone » التى أوردها « Giovanni Florention » فى مجموعته القصصية سنة ١٣٧٨— أى بعد وفاة الكاتب الإيطالى الشهير « بوكاسيو » بثلاث سنوات .

أما حكاية هرب جسيكا بنت شيلوك بعد أن سرقت بضعة من مال أبيها وجواهره فيمكن أن ترتد إلى أصل إيطالى فى القرن الرابع عشر، وذلك فى رواية نوفلينيولسالرنو، فهى تحدثنا عن ابنة ثرى بخيل من أهل نابلى، سرقت جواهر أبيها واتخذت سيبلها فى الأرض هرباً مع عاشقها . . . على أنها بعد ذلك حكاية شائعة فى ممالك الأرض جميعاً .

على أن الفكرة الرئيسية فى رواية « تاجر البندقية » يقال إنها مأخوذة من « ملهاة البندقية » التى يزعم « Fleay » أنها الأثر الأدبى الضائع للكاتب Dekker والتى كان اسمها « يهودى البندقية » . ومهما

يكن من أمر مصادر الحكايات التي اشتملت عليها مسرحية شكسبير فإن شاعر الإنسانية الذي لا يداني قد خلج عليها من عبقريته ومن روحه ومن سحر لغته ما جعلها رائعة عالمية فوق مناط الحكايات والأقاصيص •

البناء المسرحي ووحدة الزمان والمكان

إذا كنا نسلم بالعناصر الرئيسية التي وضعها أهل الخبرة للمسرح بعد طويل من التجارب ، والتي بنوها على المفتتح ، وابتداء العقدة ، ونقطة التحول ، وانحدار نحو الختام ، والخاتمة ، فإنه من المسلم به أن خاتمة المأساة تنتهي بصراع البطل ضد قوات معادية ، وينتهي الصراع بهزيمة البطل ، على حين ينهي في الملهاة بانتصاره . وعلى ضوء هذه المبادئ نقول : إن « مسرحية تاجر البندقية » هي ملهاة يتصرف فيها أنطونيو على كلى الصعوبات التي اعترضت سبيله . فعلى حين تتأزم الأمور أمام أنطونيو ويعجز عن الوفاء بدين شيلوك في مواعده ، وتأتيه أخبار الخسارة لعروضه وأمواله وسفنه في الساعة التي يفرح فيها باسانيو بزواجه من بورسيا - على حين يحدث ذلك إذا بالمحاكمة تبدأ ، وإذا بالفتاة الثرية العاقلة بورسيا تحول القانون في براعة وحذق إلى صدر شيلوك ، فتختلط المأساة القرعية العارضة بالملهاة الأصبلة ، وينتهي ذلك كله بالنهاية السعيدة على نفحات الموسيقى ، وفي سفور القصر المطل المضىء على قصر بورسيا بمدينة بلمونت . ولقد نحى شكسبير وحدة الزمان والمكان جانباً في هذه المسرحية ،

وجرى على وحدة أكمل وأتم — هى وحدة الحياة . وبذلك سار على طريقة ابتدائية خالف بها المذهب الاتباعى القديم « الكلاسيكى » . وتستغرق هذه المسرحية فى مقياس الزمان ربع عام تدور فيه الأحداث مدارها ، ولكنها تبدو لنا حين نسمعها أو نقرأها أنها تدور فى ساعات قصار على حين تنتقل المشاهد من مدينة البندقية إلى مدينة بامونت طرداً وعكساً . وهنا يحق لنا أن نقول مع القائلين : إن الوقت عند شكسبير مستقل كل الاستقلال ، أو غنى كل الغنى عن الساعات والتقاويم . . .

أشخاص المسرحية

ليس مبالغة فى القول أن نقول إن مسرحية « تاجر البندقية » غنية غنى وافراً فى شخصياتها . وهو غنى ليس فى الكم وحده ، ولكنه يضيف إلى الكيف ما يجعل هذه الرائعة واحدة من أجمل روائع شكسبير . ولقد قسم الشاعر الإنسانى أشخاص روايته إلى مجموعات متشابهة أو غير متشابهة ولكنها محكمة الاختيار إلى حد يجعل كل واحدة منها قائمة واضحة المعالم ، ثابتة فى المكان الذى اختاره لها المؤلف ، بحيث لا يختلف وضع مع وضع ، ولا يتناثر شيء مع شيء . . . فهناك مجموعة يتوسط عقدها تاجر البندقية — أنطونيو — وهناك مجموعة يتوسطها شيلارك ، ومجموعة تتوسطها الثناة الثرية العاقلة الحصيفة بورسيا . على أنه ليس من الإنصاف ونحن فى معرض تحليل شخصيات المسرحية أن نغفل الإشارة إلى جسيكا بنت شيلارك وهى

التي شغفها الفنى المسيحى لورنزو حباً ، فهربت معه بما حملته من أموال أبيها البخيل وجواهره . وهما شخصان ذوا دورين عارضين فى الرواية ، إلا أنهما يكبران شيئاً فشيئاً فى خلال المسرحية حتى يبدوا من أهم عناصرها . ولنبدأ بشخصية :

أنطونيو « Antonio »

هو شخصية هامة جذابة فى المسرحية ، وفى طيبة طبعه وسلامة نفسه ما يجعل منه بطلاً طيباً إذا ووزن بمقابله شيلوك . ويبدو على ملامح وجهه الطبيب ما يبين عن أنه مثقل النفس بهوم ثقيل ، فهو حزين فى أول مشهد من المسرحية حزناً لم يستطع أن يكشف عن أسبابه لصديقيه سالارينو وسالانيو ، فقد ظننا أن به لوعة من وجد أو خوفاً من توقع خسارة فى تجارته . إلا أن سمات الكتابة البادية غالباً على وجهه لم تستطع أن تغير شيئاً من كرم نفسه ورفيع صفاته . فهو جواد بأعز ما يملك ، لا يضمن بملخور التلاد على أصدقائه ، وهو صبور فى المحن ، عاف عن الزلات ، حرّ حين يحب ، وصريح حين يكره ، وهو يحب المال لا لذات المال ، ولكن ليعين به صديقاً أو يسعف به مكروباً . ألم تدفعه المروعة إلى أن يضمن صديقه باسانيو عند اليهودى شيلوك الذى أقرضه المال على شرط أن يأخذ رطل لحم من جسمه إذا فات موعد وفاء الدين ولم يستطع المدين وفاء ؟ وقد ظل أنطونيو طول المسرحية طيباً من جميع نواحيه ، إلا أنه كان شديد الوطأة

في حملاته اللسانية على شيلوك اليهودى حين كان يبعته بأشنع الأوصاف وأقذر التعوت ، وحين أعلن أمام دوق البندقية أنه تهايباً صابراً لما ترميه به نفس شيلوك الحبيثة من الرزايا . ولقد استسلم أنطونيو للمصير الذى يريده به اليهودى من قطع رطل من اللحم من جسمه ، وتمنى — فى غير سخط ولا جزع — لو حضر صديقه باسانيو ليرى بعينه كيف جاد بحياته فى سبيل الوفاء بدينه . وهنا يتغير موقف المخاصمة والمحاكمة بين شيلوك وأنطونيو حينما تتولى بورسيا الدفاع عن أنطونيو ، فتجعل من حرفة القانون سلاحاً ضد شيلوك بدلا من أن يكون سلاحاً فى يديه . وتتجلى هذه الغمرات كلها ضد أنطونيو عن انتصاره وانتصار صديقه باسانيو ، كما تتجلى عن سلامة سفنه التى أشيع أنها كانت قد صارت إلى هلاك فى عرض البحار . .

باسانيو « Bassanio »

هو صديق أنطونيو الذى اقترض له المال بضمانته من شيلوك وكان باسانيو بحاجة إلى المال ليتقدم به إلى خطبة الفتاة الوارثة الجميلة بورسيا . فكل محنة لقيها أنطونيو كانت من أجل باسانيو . وكان كل شيء فى المسرحية ينبئ بأن باسانيو هو المقدر أن يكون زوجاً لبورسيا الجميلة على الرغم من ازدحام الخطاب من الأمراء على بابها . فجاء اقتراح الصناديق من نصيبه مؤيداً لاختيار بورسيا لو كان لها وحدها الخيار . فهو فى سرى النفس نظيف السلوك . وهو فوق ذلك رقيق الحس . ما كاد يعلم — وهو

في مباحث العرس يزواجه من بورسيا — بأزمة أنطونيو وإلحاح اليهودي عليه بتنفيذ الشرط في اقتطاع رطل اللحم من جسمه، حتى ترك زوجه الجميلة في ليلة عرسها وخف إلى مكان المحاكاة لعله يفتديه أو يسعفه بالمال الكثير الذي أمدته به بورسيا لو أمعن اليهودي شيلوك وغالى في المطالبة بمال بدلا من رطل اللحم . . .

بورسيا « Portia »

هي الفتاة الوارثة الثرية ، التي أراد لها أبوها قبل أن يموت أن تتزوج عن طريق الاقتراع على صناديق ثلاثة : أحدها ذهبي ، والثاني فضي ، والثالث رصاصي . فلم يكن اختيار بعلمها لها ، وإنما لما تحكم به القرعة بين الخطاب الكثير الذين تقدموا لخطبتها . وقد كانت ترى مما يشق عليها أن تكون فتاة عاقلة مثلها غير قادرة على قبول من تحب ، أو رفض من لا تحب . وكأنما الأقدار السعيدة كانت تهيئ لها السعادة حينما وقع اختيار الشاب باسانيو على الصندوق الرصاصي الرابع . ولكن باسانيو فقير لا يقوى على منافسة الخطاب الأثرياء ، فلجأ إلى صديقه أنطونيو — تاجر البندقية — ليقرضه المال . ولكن أنطونيو — في عمرة من الضيق المالى — لجأ إلى اليهودي شيلوك الجشع الحقود . وما كادت بورسيا تعلم بمحنة أنطونيو حين عجز عن وفاء الدين في أجله ، حتى همت لتتخذ أنطونيو من تصميم اليهودي شيلوك على تنفيذ الشرط القاضى باقتطاع رطل لحم من جسمه . إن أنطونيو

قد أسلف لها يداً غير مباشرة حين ضمن القرض الذى أخذه باسانيو ليتقدم إلى خطبتها ، فكيف تقصر الآن عن معونته فى النكبة التى منى بها أمام شيلوك ؟ لقد تنكرت فى زى محام شاب لتدافع عن أنطونيو وتنفذ حياته من يد اليهودى العنيد الحقود . ولقد كان موقعها فى المدافعة أمام دوق البندقية موقعاً اختلط فيه الشعر بالفلسفة . وامتزج فيه الوقار الرصين بالسخرية اللاذعة . وما أروعها وهى تلجأ إلى لغة الشعر لتحدث عن الرحمة حديثاً تحاول أن تلين به قلب اليهودى الذى قدّ من صمخر ! وما أذكأها وهى تحاول القانون ضد شيلوك ! فلأنها اشترطت عليه أن يقطع اللحم من جسم أنطونيو بلا قطرة من دم ، وإلا قضى عليه قانون البندقية بمصادرة أمواله وأملاكه ، وهنا اضطر شيلوك - مكرهاً - إلى أن يرضى بأن يرد إليه أصل قرضه من غير تنفيذ لشرط اللحم ! ولكنه فى النهاية خسر قرضه ، وخسر ماله كله الذى ذهب إلى ابنته جسيكا وزوجها لورنزو ولقد بلغ من حكمة بورسيا أن الكاتبة المسز جايمسون قالت : « إن شكسبير هو الفنان الوحيد - بجانب الطبيعة - الذى يستطيع أن يحيل النساء عاقلات حكيما من غير حاجة إلى أن يجعل منهن رجالا » .

شيلوك Shylock

إذا كانت بورسيا هى جمال هذه المسرحية فإن شيلوك اليهودى الجشع هو سر القوة الكامنة فيها . وقد حاول شكسبير أن يجمع كل خصائص

اليهود وصفاتهم العامة في شخصية شيلرك ، الذى يمثل الشعب اليهودى أصلق تمثيل . ففيه منهم تلك الكبرياء العاتية التى لم تنف لحظة خلال العصور عن أن تثير العداوات ، وفيه ذلك الشح المفرط الذى يقود إلى الجشع البغيض ، وفيه منهم ذلك الضعف والدلة . فهو فى الحق نموذج من آلام اليهود وكراهيتهم . وقد كان هو نفسه موضعاً للازدراء الشديد والإهانات المتصلة من المحيطين به من مسيحيى البندقية .

وكان له بينهم أعداء يرى نفسه أكبر من مصالحتهم ، وإن كان أضعف من مقاومتهم . على أنه فرق ذلك لم يكن فى يهوديته بأكثر منه فى شيلوكيته . . . فله من السمات الخاصة ما يزيد على سمات قومه . . .

ولقد صورته شكسبير حقوداً متفقاً أكثر منه طماعاً جشعاً ؛ فإن الحقد كان يجرى فى مفاصله مجرى الدم . . . فقد أنساه حقه حب المال وهو يخاصم أنطونيو أمام دوق البندقية ، حتى لقد رفض أن يدفع له دينه أضعافاً مضاعفة لقاء أن يشنى حقه باقتطاع رطل من اللحم من جسد أنطونيو . وكل ذنب أنطونيو لديه أنه رجل تجمعت فيه أكرم خلال المسيحية — أو الإنسانية — فهو مسباح كريم منجد مغيث للملوف لا يقرض بالربا مطلقاً ولا يتعامل به . حتى لقد قال عنه الناقد الأديب «HPN» Hudson : « لما كان الجشع والحرص هما هوى نفسه الذى تحكم فيه فإن الفضائل المسيحية التى لا تتفق مع ذلك بدت فى عينيه من أكبر الذنوب » .

ولقد بلغت شهوة المال والحرص عند شيلوك حدّاً جعلت منه شخصاً

بليد الحس ، وضع النفس . فلم يحزنه شيء حينما فرت ابنته جسيكا مع عاشقها المسيحي لورنزو أكثر من حزنه على المال الذي هربت به
 كان الشرف عنده شيء لا اعتبار له بجانب المال . ويقول حينما علم نبأ هروبها بالمال والمصوغ : « من لي بابنتي ميتة عند قدمي ، والماستان في أذنيها ١٩ » .

وبلغ من بلاءه حسه أنه ألف أن يسمع أفحش الطعن فيه فلا يتحرك ولا يثور ، ولا يبدى أية من آيات الغضب . وكثيراً ما ندده أنطونيو وباسانيو وأصدقاؤهما فلم يبدُ عليه أنه سمع من واحد منهم كلمة ويتمتع شيلوك — لو صح هذا التعبير — بنصيب كبير من المكر والخبث الذي بدا جلياً في المحاورة بينه وبين أنطونيو وباسانيو ، حينما جاءه لطلب القرض منه . كما بدا جلياً في المحاورة بينه وبين سالانيو وسالارينو حينما فات أجل الدين وحق تنفيذ الشرط القاضى على أنطونيو باقتطاع رطل من لحم جسده وإذا جاز لنا هنا أن نعود مرة أخرى إلى حقد شيلوك فإنه كان حاقداً على المسيحية بحكم يهوديته ، وكان حاقداً على أنطونيو لأنه كان يسخر منه من ناحية ، ولأنه كان تاجراً شريفاً نجداً غير مراب ولا حريص على مال ، وكان حاقداً على لورنزو المسيحي صديق باسانيو لأنه أغرى ابنته جسيكا بمغريات الحب فهربت معه من بيت أبيها شيلوك حاملة معها ما حملت من ذهبه ومصوغاته .

ولقد ضاع ذلك اليهودى الثاعس في نهاية الحصومة بينه وبين أنطونيو

ضياعامادياً لا قیامة له بعده... بفضل براعة بورسيا في الدفاع . فضاعت أمواله كلها التي أنفق الساعات في جمعها لتذهب إلى لورنزو المسيحي الذي تزوج بابنته جسيكا . وعاد من صفقة القرض التي كان يحسبها رابحة بأفدح خسران . . .

ولقد بلغ من خطر الدور الذي قام به شيلوك أن المسرحية كادت تسمى باسمه بدلا من اسم أنطونيو تاجر البندقية . فقد وجد في أحد السجلات القديمة « Stationers Registers » تعريف بهذه المسرحية هكذا : « هذا كتاب تاجر البندقية ، أو كما يسمى باسم آخر : يهودى البندقية » . ولقد بدلنا هذا النص الوثيق على أن شكسبير كان في شك من أن يسمى مسرحيته بإحدى التسميتين نسبة إلى أنطونيو أو شيلوك . وأياً ما كان الأمر فإن شيلوك هو « شخصية » هذه المسرحية ، وما عداه من الشخصيات فتبع له . ولكن أنطونيو من ناحية الدراما هو شخصية هذه الرواية ، فلولا ما كان لشيلوك ظهور . . .

جسيكا « Jessica »

ابنة شيلوك اليهودي ، ولكنها لا تبدو في أى موقف من مواقفها في المسرحية على صورة تنفر القارئ أو المشاهد . فقد اجتمع لها من اللطف والوداعة والجمال ما ينسبنا كثيراً من سيئات أبيها ، حتى لقد يظن الطائفة أنها ليست من طيئته ، ولا من ديانتها . فهي كما يقول سالارينو مخاطباً

شيلوك بعد حادثة هربها : « بين دمك ودمها من البون مثل ما يختلف
النبيذ الأحمر عن النبيذ الأبيض ! » .

على أن فرار جسيكا في ذاته مع عشيقها المسيحى لورنزو قد
يحملنا على فرض احتمالين لا ثالث لهما : فلما أن تكون الفتاة فتاة غير طيبة ،
ولما أن يكون أبوها غير طيب . وخاصة بعد أن سرقت معها جمهرة من
مال أبيها ، ولكننا حين نلتمس لها العذر في الفرار من بيت ضرب الشح
والحرص والتقتير عليه بجرانه ، فلاننا لانعفيها من بعض الأوم على سلوكها هذا .
ومن عجب أن هذه الفتاة المحرومة قد آلت لإيها أموال أبيها شيلوك بعد أن
خسر قضيته مع أنطونيو . وصار مصيداً بعد أن كان طالب صيد . .

لورنزو « Lorenzo »

هو غاشق جسيكا ابنة شيلوك اليهودى . وقد هرب بها في ليلة كان
أبوها فيها مدعواً إلى حفل تنكرى . وساعده على الهرب بها وبالمال الذى
حملته جراتيانو وسالارينو ، وهما من أصدقاء أنطونيو وباسانيو ، وكأنما
كان شيلوك يحس " بما سيحدث تلك الليلة ، فقد خاطب ابنته موصياً إياها
بتغليق الأبواب وإحكامها وحلها أن تذهب إلى النافذة لتطل منها ... ومن
عجب أن تهرب جسيكا مع لورنزو إلى بيت بورسيا وزوجها باسانيو ،
وأن يتولى العاشقان الهاربان الإشراف على هذا القصر حتى تعود بورسيا منجزة
مهمة دفاعها النبيل عن أنطونيو وهى متنكرة في بزة فتي من أقدر المحامين .

بقيت بعد هذا شخصيات جراتيانو وسالارينو وهما من أصدقاء أنطونيو وباسانيو. وقد بلغ بهما صدق المودة وخلوص الحب حداً يضمهما في إطار فريد نادر من الصداقة التي تجلى مثلها الرفيع في أنطونيو. أما طويال اليهودي صديق شيلوك فهو شخصية ثانوية الأهمية ، ولكنه على كل حال كان يحمل إلى شيلوك أطراف الأخبار وأسوأها ... حل إليه نبأ خسارة سفينة من سفن أنطونيو، كما حل إليه في اللحظة عينها نبأ عن ابنته الهاربة جسيكا أنها أنفقت ثمانين دوقية ذهبية في ليلة واحدة بمدينة جنوة . . . ويا للمفارقة بين النبأين !

أما شخصية لنسلو جوبو « Lancelot Gobbo » فهي شخصية تعتمد على عنصر الضحك والغرابة . لقد كان في خدمة شيلوك اليهودي ، ولكنه وجد من سوء عشرته مالا يُطعم بالبقاء عندهم ، فتركه إلى خدمة ياسانيو . والحق أن بيت شيلوك كان يشبه قطعة من الجحيم ... ولقد عبرت عن ذلك جسيكا ابنة شيلوك حين خاطبت لنسلو جوبو قائلة : « أنا متكدرة لتركك أبي ، وستكون لك وحشة في هذا البيت الجهنمي » . ولقد انتقل لنسلو إلى بيت ياسانيو — أو إلى قصر بورسيا — حيث أوت إليه جسيكا مع عشيقها وزوجها لورنزو ، وحيث صارت إليها ثروة أبيها شيلوك وأمواله الواسعة . . .

مقدمة للمعرب

أصل هذه القصة أحدثثة ، وما أصغرها من أحدثثة ، جرت على الألسنة في إيطاليا وتداولتها نقلا عنها سائر الأمم : محصلها أن فتاة ذات مال وافر وجمال باهر وعقل كالكوكب الزاهر ، كان قد مات عنها أبواها ، فخطبها إلى نفسها ملك مراكش وأمير أراغون في جملة التبهاء ممن خطبها . ولكنها مالت إلى شاب رقيق الحال من مسقط رأسها ومن بني جنسها ، استدان المال الذي أنفقه في الزلن إليها بضمين صديق له فقير مثله ، رهن لليهودى الذى أقرض ذلك المال رطلا من لحم صدره . فاستخارت الفتاة الله في مستقبلها ، وناطت أمرها بثلاثة صناديق : ذهبى وقضى ورصاصى ، جعلت في الأول منها جمجمة ميت ، وفي الثانى رأس امرأة أبله ، وفي الثالث رسمها ، فن اختار من الخطاب الصندوق الذى فيه رسمها أصبحت له حليمة . وقد جاء في هذه الحكاية ما يبيىء عادة في كل حكاية من أمثالها : أن حبيب الفتاة هو الذى ألهم الصواب ، ففرحت به ، واحتمالت لإنقاذ صديقه من تبعة ضمائه لليهودى ، بأن تزيت بزى عالم قانونى ، وقضت على المراءى .

طالع شكسير هذه الأسطورة من أساطير السلاج في تلك الأيام ، فما أجالها لإجالة في ذهنه المبتدع حتى بدأ بها فصورها جملة في أحسن

ظروف الحياة زماناً ومكاناً على كل وجوهها ، وفيد أوبد الشكل من كل نواحي الفن وفي كل مراميه ، جامعاً في ذلك كافة بين المبكى والمضحك جمعاً خلافاً غريباً ، مازحاً ما يغضب وما يرضى أو ما يسوء وما يسرّ مزجاً رائعاً عجيباً .

اقرأ — رعاك الله — هذه القصة على النحو الذى نحاه شكسبير فى جعلها حكاية عن الحقيقة تبين عجباً عجائباً . وأى عجب عجاب كإخراجه من تلك الأنقاض المتداعية المتدابرة غير المتأسكة أنقاض الأسطورة العتيقة صرحاً أَيْدأ مشيداً ليس فى جملة ولا فى تفصيله إلا أفانين صادقة من الحوادث الإنسانية بمقدماتها ونتائجها التى هى أبدأ قديمة وأبدأ جديدة .

الآن أصبحت تلك القصة ولا موضع فيها لسؤال السائل عن شئ ى يتم ما فيها من الدروس الاجتماعية المرتبطة بموضوعها وبكل ما يتحرك فى دائرته . أصبحت ولا محل فيها لثمنى من يتمنى علة صحيحة للحديث مسوق ، أو لفظة مناسبة لمقام ذى بال ، أو عبارة أو إشارة كان يحسن أن توجد فى مكان معلوم .

فلذا فرغنا من النظر إلى جملة القصة فهلم نقاب الطرف فى التفصيل المعنوى :

خذ الأشخاص وتبين كنه كل منها ترآية شكسبير الكبرى : آية تعمقه إلى كنه الإنسانية فى كل حى من أحيائها على اختلاف البيئات ،

ما تتصور حادثة إنسانية شعرية، معطياً إياها من الجدة والندرة ما صيرها من خرافة عامة تقصها العجائز على أحفادها وحفائدها إلى رواية تمثيلية من أسمى الروائع التي جادت بها قرائح المبدعين في هذا الفن .
ثم طفق يهيئ أجزائها ويرتب مشوّقاتها ويصل بالأسباب الفكرية الدقيقة ما بين أوائلها وغاياتها ؛ وههنا يجد المطالع شخصاً يتمثل به كل قصد بحيث لو بحث في الإنس كلهم عن أجمع من هذا الشخص لمقومات الصفة التي أراد المؤلف أن يظهره متصفاً بها لما وجد أتم مما هو في تقدير شكسبير .

وما بالك بعد هذا بالكساء اللفظي الذي كانت أزواج تلك المعاني خليقة أن تكتسى به ! إن المعجم على ضخامته وسعته الطائلة لمتضائل ومتقارب الجوانب ومنحفر الأصداء للإجابة بين يدي شكسبير ، كالطبيعة بأسرها حين يصور ، أو كالنفس الإنسانية في أقصى حدودها جلالة أو دقة حين يتخيل ، أو كالقلوب المتأثرة الخفاقة حين ينصت إليها ويجمع من حسّاتها مادة حكمه ليقرر .

ما ازددت قراءة لمنظومة من منظومات هذا الرجل ، قصيدة فلة كانت أم رواية ، سؤالاً في عرض محادثة بين شخصين أم جواباً ، كلمة جدّ ألقى بها في ملامة أم كلمة مزاح ، إلا ازددت له إكباراً . وناهيك منه بشاعر سمّت به العبقرية إلى أوج جلالها ، جعل القصة التمثيلية مجالاً غير محدود للوصف ، فبين بها أحوال النفس على اختلافها ، وقلب

وتعدد المناشئ والصفات ، وتنوع المعاش والمكروهات والمشتبهات .
 نجد الطمع فتقول لا يصور بأدق من هذا ؛ نجد الجبن فتقول لو تمثل
 رجلاً لكان هذا ؛ تلمح الحق فتقول كأننى بفلان وفلان وفلان وقد
 كشف كل عن جزء من الحق الذى فى قلبه فاجتمع من الثلاثة الأجزاء
 هذا النوع التام من الحق بل النوع الآتم : وهكذا الحكم فى كل
 ما تصدى شكسير لإظهاره بمظهره البشرى .

إذا بلغ الوفاء من الصديق للصديق أسعى مبالغته التى شهدناها ،
 أو جاءنا بسيرها التاريخ من عهد أرسطاطاليس الذى يؤثر عنه تحييد أرقى
 معنى فى معانى الوداد ، فهل يزيد شيئاً على ما جعله شكسير فى نفس
 « أنطونيو » من معجزة الوفاء وأجراه على لسانه من بديعها ؟

إليك ما يقوله حين يستعين به صاحبه على اقراض المال الذى به
 يقترب إلى مالكة له ، ويتوصل إلى مطمح نظره ومطمح قلبه :
 « أنطونيو : ما كان أغناك — على علمك بى — عن إضاعة الوقت فى
 الاحتيال للاستعانة بمودتى . إنك بارتياك فى خلوصى لك لتسوءنى أكثر
 مما لو أضعت على ثروتى بأسرها . قل ما ترجوه منى فيما تعرفنى قادراً
 عليه فقد أجبت . تكلم » .

ثم إليك ما يقوله أنطونيو حين يشترط اليهودى إقراراً منه بأنه إذا لم
 يف بالدين المطلوب فى يوم كذا بمكان كذا أوجب لليهودى عليه اقتطاع
 رطل من لحمه فى المكان الذى يختاره من جسمه ، فقد كان أول جوابه

هذه الكلمات التي هي من أكبر ما قيل في التفدية للصديق بالنفس والنفيس : « أوافق بارتياح على هذا الشرط » .

ثم إليك ما يقوله أنطونيو مودعاً ، وقد وقف من الموت قيد خطوة ، وبقي له من العمر فسحة دقيقة أو ثانية لا يحسب لها ثانية ، ويموت عندئذ من أجل صديقه أبشع الميئات وأشدّها إيلاًماً للتصور ، فضلاً عن الجحمان الحى ، سامعاً ورائياً ، شحذ المدينة على نعل اليهودى الذى يتأهب لقتله :

« أنطونيو : شيء غير كثير . أنا متأهب وصابر . هات يدك يا باسانيو وتلق وداعى . لا يحزنك أن صرت هذا المصير من أجلك ، فإن المقادير رفقت بى رفقاً ليس من مألوفها فى مثل مصابى . فن مألوفها أن تبقى من فقد جأه حياً غائر العينين مثقل الجبين بالغضون ، يتوقع شيخوخة البؤس والفاقة . أما أنا فلأنها أنقذتنى من هذا العذاب الطويل ، وغاية ما أرجو أن تذكرنى بخير لدى عروسك المشرفة ، وتخبرها كيف كانت نهاية أنطونيو ونصف مبلغ حبي لك ، وتبئها بك مما ألم بك حين شهدت ميتى ، فإذا فرغت من ذلك ، أن تسألها " ألم يكن لى صديق ؟ " ثم أن لا تعاتب نفسك على وفاة ذلك الصديق فإنه هو غير آسف على إبرائك من دينك مع علمه أن مدينة اليهودى لو انحرفت أو تمددت قليلاً لذهبت بالقلب كله فداء لك » .

فإذا انتقلنا إلى تمثيل الجمال أصلي ما يكون لتزدان به الزوج الصالحة وأبهج ما يكون رسماً حسيّاً للكمال ، فهل يتألم لنا ملك فى شكل بورسيا

وهي تقول لعاشقها الذى وفق فصار زوجاً لها :

« بورسيا : أيها الهمام باسانيو ، هأنذا لديك كما أنا ، ولولا أمر جدته فى نفسى لاجترأت بالنعم التى منحها ولم أستزد . ولكنى غدوت متمنية من أجلك لو رجحت ستين مرة على ما أعادل اليوم ، ولو كنت ألف مرة أجمل ، وعشرة آلاف مرة أعظم جاهاً ، فتكبر حظوتى فى حينيك ، ولو كان لى من الفضائل والمحاسن والأموال والأصحاب أعداد لا تتعد . إلا أننى — ولا فخر — غير خالية من شىء يقدر بقدر ، فلإنما أمامك فتاة معصرة نقية غرة تعتد من لطف العناية بها كونها لم تزل لدنة صالحة للتقويم ، ومن سعد طالعها أنها ليست من الجهل بحيث تستعصى على التعليم ، ومن تمام نعماتها أن عقلها طيع يدعوها إلى إلقاء زماءها عن رضى بين يديك والإقرار عن خضوع بأنك سيدها وأميرها ومليكها . فأنا وكل مالى قد أصبحنا لك اليوم . كان قبلا هذا القصر المشيد قصرى ، وكنت مولاة خدى وحشمى ، وكان بيدي قياد نفسى . أما الآن فالدار والتبع والمتبوعة فى تصريف بنائك يا ولى أمرى » .

كل أولئك عجب ، وإن عند شكسير لأعجب : هذا شيلوخ اليهودى المطماع ، المرابى ، الحريص إلى التقدير ، الذى لا تسخو نفسه « بالدوق » ينفقه فى اقتناء الدواء إذا مرض وأوشكت العلة أن تقضى عليه ، قد تأصل بغض النصرانية من نفسه حتى إنك لتراه على النقيضين فى آن : يثور به الحرص فيبكى ، وأى بكاء ، على أطلاق سرقها ابنته وفرت به .

مع شاب مسيحي ، ثم يشب به عامل الحق الذي يتغلب فيه على ذلك العامل ويحركه إلى التعطى عن ثلاثة آلاف درق ذهباً ، بل عن ستة آلاف ، بل عن اثني عشر ألفاً تعرض عليه فداء ، فيأبأها كأنها أقل من درهم ليستقم من أنطونيو النصراني .

وهل في إظهار التنازع بين الإحساسين المتضادين في النفس الواحدة أبلغ من هذه العبرة التي جاء بها شكسبير بين الجدل والزل ؟ طالعو في دقائق معدودة هذا الحوار بين شياوخ وبين صديقه وأخيه في الدين طوبال الذي ناط به شياوخ البحث عن ابنته الفارغة :

« شياوخ : ما وراءك يا طوبال ؟ أوجدت ابنتي في جنوا ؟
طوبال : خوطبت عنها في أماكن جمّة ، ولكنني لم أتوصل إلى عرفان موضعها .

شياوخ : يا للخسران ! اختلست مني الماسة بيعت على في فرنكفورت بألني درق . الآن قد طفقت اللعنة تحلّ على أمتنا حلولاً لم أشعر به من قبل . ألفا درق فقدتها عدا مصوغات آخر غالية وأى غلاء . من لي بابنتي ميتة عند قدمي والألماسان في أذنيها ؟ من لي بها ممدودة هنا أمامي على وشك أن تحمل في نعش وتحمل معها الدوقيات ، عجباً ! أما من لبأ عنها — هكذا — ؟ ويعلم الله كل ما سأنفقه حتى أجد تلك الضالة خسارة فوق خسارة . . .

طوبال : لست فداً في تعرضك للنوائب . إن أنطونيو قد فقد إحدى سفائنه

- شيلوخ : حمداً لله حمداً لله . أيقين ؟ أيقين ؟
 طوبال : كلمت نواتية نجوا من الفرق .
 شيلوخ : وحمداً لك يا صديق طوبال . نعمت الأخبار ، نعمت الأخبار .
 طوبال : سمعت أن كريمك أنفقت ثمانين دوقياً في ليلة واحدة بجنوا .
 شيلوخ : تطعنى بخنجر فى قلبي ! لن يعود إلى ذهبي .
 طوبال : فى رجوعى إلى البندقية حدثت أن أنطونيولا بد له من التفضيل .
 شيلوخ : يا فرحاً بما قالوا . سأعذبه . سأنكل به . . يا للسرور !
 طوبال : أرانى أحدهم خاتماً نفحته كريمك به لتحلية قرد أعجبها .
 شيلوخ : ويحها من ناعسة ! تقتلى يا طوبال . تلك زهرجلى التى اشتريتها من ليحا أيام عزوبتى ، ولو أعطيت فرقة من القردة لما أعطيتها .

أما من جهة العبارة وفصاحتها والديباجة وروعها فليس فى عزى بالبداهة أن أجيء باستشهادات فى اللغة الإنجليزية لتبين براعة شكسبير فى استخدام لغته على ألف نحو لا يجارى فيه للتعبير عما يحول فى رأسه أو ينبض به قلبه . وإنما سأحاول أن أظهر تلك البراعة بأقرب ما تتسنى محاكاة النقل للأصل ، فيشعر متصفح الكلام وهو يقرؤه عريباً مبيناً أن شكسبير هو الذى يتكلم .

خذ مثلاً من أمثال تتجدد في كل صفحة وتعدد في كل مقام :
كلام برسيا وهي متكررة في زى قاض نصف الرحمة لتستعطف الإسرائيل
شيلوخ . أقبل في الرحمة أفصح وأجل من كلامها ؟

» بورسيا : جمال الرحمة أن تكون خياراً لا اضطراراً . فهي كماء السماء
ينهمل بالخير ويهطل باليمن ، عفواً ممن وهب ، وبركة لمن كسب ، فإذا
كانت الرحمة عفواً صادراً عن مقدرة فهناك بهاء قدرتها وازدهاء جلالها .
أما تراها إذا نحلى بها الملك القائم كانت لهامة أزين من التاج ، وفي يده
أقوى من صولجان الأمر والنهي ، وكان عرشها المنصوص في قلبه أعظم
تمكيناً له من عرشه الذي يستوى عليه ، لأنها من صفات الله عز وجل ،
ولا يكون السلطان الدنيوي أقرب شياً إلى السلطان العلوي منه إذ يلفظ
العدل بالرحمة . فيا أيها اليهودي مهما يكن من استنادك في دعواك إلى
العدل فلا تنس أن الله لو عامل كلاً منا بمحض العدل لما بات إنسان على
أدنى رجاء بالمغفرة والنجاة . لهذا نستغفر الله كل يوم في أدعيتنا . وكما
نستميحه العفو يجب علينا أن نكون من العافين عن الناس » .

ولذا كنت قد آثرت موضوعاً جليلاً للاستشهاد به هنا فلا يؤخذ من
ذلك أن كل لفظة جعلها شكسبير ، حتى في نطق أحقر أشخاصه وأقلهم
شأناً ، ليست هي اللفظة التي تتعين دون سواها لأداء غرضه مقروئ بها كما
هي طريقته في الأداء التمثيلي مائة ضعف ، على اعتبار أنه إنما يخاطب بها
العالمين لا فئة من الناس دون الأخرى .

أشخاص الرواية

جوبو الهرم والد لنسلو	دوج البندقية
سالريو رسول من البندقية	الأمير المراكشي
ليوناردو خادم باسانيو	أمير أراغون
بلتزار { أجيران لبورسيا	أنطونيو تاجر البندقية
ستفانو {	باسانيو صديقه
بورسيا وارثة مثرية	سالانيو {
نريسا تابعة لها	سالارينو {
جسيكا بنت شيلوخ	جراتيانو {
أعيان من البندقية	لورنزو عاشق لجسيكا
ضباط دار الحكم	شيلوخ يهودى
سجان	طوبال يهودى صديق لشيلوخ
خدم . . . الخ	لنسلو جوبو مضحك فى خدمة شيلوخ

تجرى وقائع هذه الرواية تارة فى البندقية وتارة فى قصر بورسيا بمدينة بلمنت .

عند هذا الحد أقف في وصف هذه الرواية والتنبيه على شيء من مزاياها . وسيرى المطالع بنفسه من حسناتها في كل فقرة وفي كل رمز ما تأخذه الدهشة لديه ويخالط عجبه منه الإعجاب به .

إن الغرر في روايات شكسبير ثمان على ما أعتقد ، وهذه إحداهن . عربنهن جميعاً ، وسأولى تمثيلهن بالطبع ، إذ هن لكل لغة حاجة وزينة ، فإياك باللغة العربية وهي مجتمع أبحر البيان وملتحق كل حسن أدبي وإحسان .

خليل مطران

الفصل الأول

المشهد الأول

منهج في البندقية

« يدخل أنطونيو وسالارينو وسالانيو »

أنطونيو : حقاً لا أعرف لماذا أنا حزين حزناً يُتعبني ، ويشق عليكما فيما أرى . إنني لأسائل ضميري من أين جلبت أنا هذه الكتابة ، أو كيف وفدت هي عليّ ، أو في أي مكان صادفتني ، أو من أي غزل نسجت ، أو تحت أية سماء وُلدت ، فما أكاد أحير جواباً ، بل أشعر أن بي بلاهة ، وأوشك أن أتذكر على نفسي

سالارينو : لا غرو أن يكون عقلك ضارباً في العباب متعقباً بين النواهض والعواثر من الأمواج ، آثارَ مراكبك الضخام التي تتخطر بسواربها اليواسق فوق الغمر تنظر الغطاريف الذين لهم السيادة على البحر ، أو تخلق من عل فوق جماهير الصغار المتضائلات من سوقة السفن وعامة المنشآت فيحييها بإجلال

سالاينو : حين مرورها بهن سابحة ، وكأنها طائرة بأجنحتها الكتانية .
 أيقن يا سيدى أننى لو خاطرت بمالى مثل بخاطرتك لدرجت
 أهوائى تتبعبُ آمالى فى تلك الآفاق البعيدة ، أولما وجدتنى
 من نشدتنى إلا عاكفاً على فُريعات الأعشاب أستخبرها عن
 مهاب الرياح ، أو مكيباً على صُور الأرض أبحثُ عن المرائى
 والأرصفة والموائى ، فأبما شئ تبينت منه أدنى بأس على
 أو ساقى ميت له جزءاً

سالارينو : بل لكان من شأنى فى مثل هذه الهجاجة أننى إذا نفخت فى
 حسائى لتبريده ، طفقت أفطن للآفات التى قد تحدها
 العواصف فى البحر فأرتعد ، وإذا نظرت إلى تناقص المزولة
 خطرتُ على بالى الجروف والأغوار الرملية وبدت لوهى تلك
 الجارية الكبرى المسماة « بسنت أندرى » جانحة وقد انقلبت
 ساريتها الوسطى إلى ما تحت غاطسها كأنها تقبل رَمَسها .
 وإذا يعمت الكنيسة فلاحت لى مبانيها الحجرية الممردة
 ذكرت من فورى تلك الصخور الصماء التى إن مست جانباً
 من جوانب فلكى ارتطم بها ، وألقى بما يحمله على وجه المحيط
 فانثبث البقول فوق الحباب وانتشر الحريرُ على مناكب
 الأمواج الهدارة ، وانتقلت أنا فى عقبها من مُلابسة الثراء
 إلى مُلابسة الثرى . أفى وسع إنسان أن يرى منى تلك الحالة

فلا يفهم. أن ما يشغل بالي إنما هو هذا الشاغل ؟ قولوا
ما تشاؤون ، أما أنا فلا أحمل هم أنطونيو إلا على حمل
تفكيره في مشحوناته

أنطونيو : لا وصلد قافى . ليست لحسن طالعى كل بضائعى فى موستق
واحد ولا هى موجهة إلى مكان واحد فتكون عرضة للأخطار
بل أزيد كما أننى لم أقامر بكل ثروتى فى مضاربات هذه
السنة ، فكأبى ليست من جانب مشحونائى

سالانيو : إذن أنت عاشق

أنطونيو : لا ولا

سالانيو : فإن لم تكن عاشقاً لم يبق لنا أن نقول إلا أنك ترح لأنك
غير فرح ، كما أنك بالقياس على هذا لو كنت مبتهجاً
بحال ذلك أن تضحك ، وترقص ، وتجهر بأنك مسرور ،
لأنك لست بمحزون . حلفت بيانوس ذى الوجهين إن
الطبيعة تخلق فى بعض ما تخلق أناساً مستغربين ، فئة
منهم لا تنى عيونهم متيقظة على كونهم كالبغاوات ،
يضحكون لأول نافع فى مزمار يسمعهم لحناً ما ، وفئة
آخرون لا يفتنون مقطعين جباههم . إذا طرقت آذانهم نكتة
من المستطرفات التى تضحك الحليم — ولو أنه نستور
الحكيم — لم تفتق لها شفاههم المضمومة عن أدنى ابتسام

« يدخل باساليو ولورنزو وغراتيانو »

سالانيو : هذا باسانيو قريبك الشريف قادماً يصحب
ولورنزو. نستودعك الله وندعك لرُفقةٍ أحسنَ

سالارينو : لو لم ييجئ من هو خير مني ، لأقمت حتى أُر
أنطونيو : ما أشد اعتدادي بمودتك ، لكن شؤونك تدعوك
الفرصة للانصراف إليها

سالارينو : نعمتم صباحاً يا سادة

باسانيو : لا بها يا سادة متى نستأنف مباسطتنا ؟ قوا
لقد أطلتم هجرنا فللام هذا الخفاء ؟

سالارينو : متى أذنت أشغالكم باللقاء ، فنحن ممثلو أمركم
« ينصرف سالارينو وسالانيو »

لورنزو : أما وقد التقيت بأنطونيو ياسنبور باسانيو فنحن :
إلى أن يحين العشاء فعسى ألا تنسى المكان الذي
فيه

باسانيو : ثقاً أنني آت

غراتيانو : ليس في وجهك ما يدل على الصحة يا سنيو
لشد ما تشغلك أمور الدنيا ، ونحسر من أشد
بثقال الهموم . إنك لعل غير ما أعهد فيك من الـ

أنطونيو : غراتيانو ، إنما أنظر إلى الدنيا كما يجب أن ينظر إليها باعتبار أنها ملعب لكل فيه دور ، أما دورى فكتبت عليه الكآبة غراتيانو : وأما الذى أوثره لنفسى فدور الضحكة . لئن علتنى غضبون الشيخوخة فلا علتنى إلا بين السرور واللهم . وخير لى أن تُرمّسَ الحمرة كبدى من أن تبددَ الأشجان أنفاسى تصويباً وتصعيداً . علام يرضى الإنسان — إذ الدمُ ما يزال حارّاً فى عروقه — أن يتشبه بالمرمر المصنوع منه تمثال جده ، فلا ينام إلا مستيقظاً ، ولا يستفيد من تدفق الكآبة الصفراء على قلبه سوى داء اليرقان . أصغ إلى أنطونيو . أنا أحبك ، وعن حبي مصدر الكلام الذى أسوقه إليك . من الناس من وجهه كوجه الماء الراكد به انتفاخٌ ويغشاه ما يغشى المستنقعات من مر المراءات ، يصمت عن تدبير ليديع عنه أنه لبيب متبصر متبحر فى الأمور ، فإذا فتح فاه فكأنه قائل : « أنا صوت الوحى ، حذار أن تنبح الكلاب » . . . أى صفيّ أنطونيو ، أعرف غير واحد لم يشتهروا بالعقل إلا لعدم نطقهم بشيء ، مع أنهم لو نبسوا لأذوا أسماع مجالسهم ولعمولوا معاملة المجانين . سنمود إلى هذا البحث فيما بعد . انتصح بنصحى ، ولا تحاول أن تتصيد الشهوة بجباله حزلك فهى صيد الحمقى — تعال

أيها العزيز لورنزو — « لأنطونيو » وداعاً إلى هنية ، سآتم
عظمتي بعد العشاء .

لورنزو : أجل سندعكم إلى ميقات العشاء ، ولما كان غراتيانو
لا يفسح لي في الكلام ألبتة فقد رضيت أن أكون واحداً من
أولئك الحكماء الصامتين

غراتيانو : لا جرم أنك لو استمررت على معاشرتي ستين آيتين لتعذر
عليك بعدهما أن تعرف صوتك

أنطونيو : في رعاية الله . إذا ظلت الحال هكذا ، لم تلبث أن تحولني
إلى ثرثرة

غراتيانو : أولى لك ثم أولى ، فإن الصمت لا يحمي إلا في اللسان المدخن
وفي فم العذراء التي لا تتبع عرضها
« يخرج غراتيانو ولورنزو »

أنطونيو : أيرجد شيء من المعنى تحت هذا كله ؟

باسانيو : أذلق أهل البندقية لساناً ، يمثل هذه التوافه — غراتيانو —
والأسباب التي يبنى عليها أقاويله ، أشبه بجبتي قمح في
مكيالين مفعمين بالتبن ، فتش سراة النهار حتى تجدهما ،
فإذا وجدتهما فما أقلهما من شيء في جانب هذا العناء !

أنطونيو : حسن . حدثني الآن عن تلك المرأة التي عزمت على

حج بيتها في الخفاء

باسانيو : لا تجهل يا أنطونيو ما كان من تبديدي ثروتي بالتوسع في الإنفاق منها على قلة مواردها ، وما جرّني إليه ذلك من الديون الباهظة ، فهمي الآن — ولا يداخله شيء من خوف السقوط عن ذلك المقام الرفيع — هو أن أوفى تلك الديون كما يقتضى شرفي ، ومعظمها لك سمحت به عن وداد . فإلى وداك اليوم أبلغاً لتعيني على تحقيق آمالي ، وتملني بما يوصلني إلى أداء ما على

أنطونيو : عرفني آمالك يا صديقي باسانيو ، فإذا كانت شريفة كما أعهدك شريفاً ، فأنت واثق أن مالي وشخصي وكل ما في وسعي رهن خدمتك

باسانيو : عندما كنت طالب علم اتفق لي غير مرة أن أرمي نبلاً فأفقد أثرها ، فإذا أردت الاهتداء إليها رميت أخرى في ناحيتها ، ورقبتها في منطلقها ، ثم مضيت في ذلك المتجه فلم أرجع إلا وقد ظفرت بالنبلين جميعاً . ذلك لمخاطرك بالثانية بعد الأولى . وقد قصصت عليك هذه السانحة الصبوية ، لأن ما سأذكره لك لا يقل عنها تفاهة . أنا مدين لك بكثير ، ويوشك ما أقرضتني أن يكون مفقوداً ، لأن نزق الصبي حال دون تبصرى في عقبى هذا التفريط ، غير

أنك إذا أسعدتني على إرسال سهم ثان في مرمى السهم الأول رقبته بتفطش، وفزت يقيناً بوجدان السهمين كليهما ، أو عدت على الأقل بالآخر منهما . وبقيت لك عن الذي سلف ممتناً شكوراً

أنطونيو : ما كان أغناك — على علمك بي — عن إضاعة الوقت في الاحتيال للاستعانة بمودتي . إنك بارتياحك في خلوصي لك لتسومني أكثر مما لو أضعت عليّ ثروتي بأسرها . قل ما ترجوه مني فيما تعرفني قادراً عليه فقد أجبت . تكلم .

باساليو : في قصر بلمنت غانية غنية ، واثرةً بلجاه كبير ، جمالها فوق ما تصف الكلم ، وخصالها لانظائرها . راسلتني عيونها في بعض الأوقات ، ساكنةً والهوى يتكلم . يسمونها برسيا ولا تقل شيئاً عن سميتها برسيا بنت كاتون قرينة بروتس ، على أنها ليست بمغمورة الذكر ، ولا مبخوسة المهر ، فإن نبهاء الخطاب يتوافدون إليها من كل فيج وشاطئ . تتساقط صفائرها على صدغيها كأنها جدلت من ذهب . وما من مخاطب مجيد ، وطالب سعد ، إلا وقد طرق بابها ، والشمس جوايبها . فيا صديقي أنطونيو لو تيسر لي أن أتقدم بين المتقدمين في هذه المناظرة ، فإن وحيًا نجيبًا يسر لي قلبي أنني سأدرك قصص سبق

أنطونيو : تعلم أن ثروتي جميعها تحت رحمة المحيط ، وأنه لا يتسنى لي أن أجمع الآن من مالى مقداراً جديراً بالذكر ، فاذهب إلى البندقية واسبر ما تقدر على استدانته بضمانى ، فأياً كان الشيء يبلغك مرامك لم يعزّ علىّ بذله . ابحث فى كل مظنة للنقود، وسأبحث أنا كذلك ، ولعل ما للناس بى من الثقة أو مالى عندهم من الكرامة يقضيان أربك .

« يخرجان »

المشهد الثانى

بلمنت — قسم من قصر برسيا

« تدخل برسيا وباريسا »

برسيا : حقاً يانريسا إن جسمى الصغير لعب من هذا العالم الكبير
 نريسا : ما كان أحراك بهذا التعب لو أن ما عندك من اليسر أبذل بعسر ، غير أننى قد تبينت أن الإنسان يُشقيه فرطُ الغنى ،

نرسيا : كان أبوك امرأ خير ، والأبرار يلهمون الخير قبل وفاتهم ،
فاعتقدى أن الاقتراح الذى فاطه بهله الصناديق الثلاثة :
الذهبي ، والفضي ، والرصاصي ، وجعلك حليلة لمن يحب
اختياره وفق مراده لن يبعثك منه إلا بعل " جدير بحبك .
على أن الخطّاب الذين تقدموا إلى الآن كثير ، أفما تقولين لي
أيهم أكبر حظوة في عينيك

برسيا : أعينى على " إن شئت أسألكهم أصفهم ، ومن الوصف
تعلمى منازلهم من رأي

نرسيا : أولهم الأمير النابلي
برسيا : هذا حيوان لاشك فيه . يتكلم بلا انقطاع عن جواده ،
ويتباهى بأنه ينعل الدابة بيده ، ويتقن . حتى لأخشى أن
تكون أمه قد عثرت عثرة بين يدي أحد البياطرة

نرسيا : يليه الكنت البالاتي

برسيا : هذا رجل سمحته متشعبة من حسن ظنه بنفسه ، كأنه
يخبرك : « أترتضين بي أم لا ترتضين ؟ أبيني » . يسمع
أطراف السير بلا تبسم ، وأخاف لشدة كآبته في شبابه
أنه إذا بلغ أخريات أيامه عاش عيشة الفيلسوف الباكي .
لأوثر على الواحد من هذين أن اقترن برأس ميت ، في فمه
قطعة من العظم

كما يشقيه جهد الفقر ، وإن السعد عين السعد في الحالة الوسطى ، فإن مع الترف وشك المشيب ومع الشظف إمهال الأجل

برسيا : نعمت الحكمة ، وحبذا مجراها على لسانك

نوريسا : لخير أن يُعمل بها من أن تقال

برسيا : لو كان العمل بالأصلح سهلاً كالعلم به لأغنت البيع الصغرى

عن الكنائس الكبرى ، ولكانت أكتان الفقراء هي القصور

الآهلات . . . أفضل الواعظين هو ذلك الذى يتعظ بنفس

أقواله ، قد يهون على تعليم عشرين سامعاً أكثر مما يهون على -

لو كنت أحدهم - أن أنتصح بنفس نصائحي . العقل يسُن

القوانين للحواس ، ولكن حرارة الطباع تدوس تلك الروابط

الباردة . ما أشبه جنون الشباب بالأرنب الوثاب ، وما أشبه العقل

بالشرك الضعيف ، أفلت منه ذلك الأرنب ، فمضى لغير مأب

على أن هذا القياس لا ينفعى أدنى نفع في اختيار

زوج لى ، كيف أذكر الاختيار وما بوسعى انتقاء من

يعجبني ، ولا ردُّ من لا أحب . جعلت إرادتى - وأنا

فتاة في اقتيال الحياة - رهن إرادة تقدم بها إلى والد هو الآن

ميت . أليس شاقاً على النفس يانوريسا أن تكون الفتاة غير

قادرة على قبول من تود أو رفض من لا تود ؟ !

نريسا : كيف تقولين في الشريف الفرنسي المسيو ليون ؟
 برسيا : هكذا خلقه الله ، ولا اعتراض لي على وجود مثله بين الرجال .
 أعرف أن سخرية المرء من أخيه خطيئة ، لكن ذلك الرجل
 أكرمُ حصاناً من النابلي ، وأقبحُ عبوسةً من الكنت البالاتي
 هو كل شيء ولكن لا شيء . إذا تغنى الشحورورُ ترقص
 له ، وإذا لقي ظله يارزه ، فاقتراني به إنما هو اقترانٌ بعشرين
 زوجاً . ولو احتقرني لغفرت له ، إذ لو أحبنى إلى الجنون
 لما أصاب مني سوى الاحتقار

نريسا : إذا ما فكرتك في فلكنبرج البارون الإنجليزي ؟
 برسيا : تعلمين أنني لم أخاطبه . إنه ناعم الأظفار لا يفهم كلامي ،
 كما أنني لا أفهم كلامه . هو يجهل اللاتينية ، والفرنسية
 والإيطالية ، وأنا أجهل الإنكليزية إلا كلمتين لا تقوم معهما
 الشهادة لدى القضاء بأنني أحسن هذه اللغة . به جمال
 ولكنه كجمال الصور ، وأني لي أن أتمتع بحديث مع صورة
 ملبسة غير مألوف . وأظن أنه اشترى صدّاره من إيطاليا
 وسراويلاته القصيرة من فرنسا وقبعته من ألمانيا واتخذ عاداته
 من مختلف الأقاليم

نريسا : وما قولك في جاره النبيل الأسكتلندي ؟
 برسيا : إنه شديد الرغبة في الإحسان إلى أخيه الإنسان ، بدليل أنه

اقترض صفحة أخيه الإنكليزي ، ثم أقسم إلا ماردتها إليه
حين يستطيع ، وفي زعمى أن الفرنسي ضمن له المعونة على
هذا الرد ، لكنه زور صك الضمان .

نريسا : ما حكمك في اليافع الألماني ابن أخى دوق سكس ؟
برسيا : بغیض قبل الصبح ، وأبغض منه بعد الغسق . يوشك في
أحسن أوقاته أن يكون رجلاً ، وفي أقبح أوقاته لا يفوق
الحيوان الأعجم إلا بشيء يسير . والخيرة لى مع ترجيح
السيئات على الحسنات أن أستغنى عنه
نريسا : لو أنه اقترح في المقرعين وأصاب الصندوق الرابع ، أفتأبينه
لك بعلا فتخالى لإرادة والدك ؟

برسيا : ضعى كأساً كبيرة من خمر الرين على الصندوق المقابل لذلك
يترام إليها لا محالة ، ويؤخذ بهذه الحيلة ، وإلا آثرت كل
مصير أصير إليه في الدنيا على التزوج من إسفنجة !
نريسا : لا تخشى يا سيدتى أحداً من هؤلاء ، فقد علمت بعزمهم
على العود إلى ديارهم ، وعدوهم عن الطميح إليك ، إلا
إذا وجد موفق منهم وسيلة لاكتسابك غير القرعة التى أوصى
أبوك بها

برسيا : لو عشت أطعن في السن من السبيل لمت أظهر في ملمس
عفتى من ديانا ، ولم أتزوج إلا على الطريقة التى اختارها

أبى. أنا مسرورة بما عند هؤلاء الخطّاب من سرعة الإدراك ،
ممتنة لغيابهم جميعاً ، داعية ربى لتوفيقهم فى السفر
نريسا : ألا تذكرين ياسيدتى أنك رأيت فى حياة أبينا رجلاً مثادبا ،
شجاعاً من أهل البندقية ، زاركهم مع الماركيز دى منفرات
برسيا : بلى ، بلى ، وكأنى أنفطن لاسمه . . . باسانيو . . .
فما أظن

نريسا : أجل ياسيدتى ، وأحسبه أنخلق من رأيت بأن تهواه امرأة
جميلة

برسيا : أذكره جيداً ، وهو جدير بمحنتك — « يدخل خادم » —
إيها ، ما وراءك ؟

الخادم : الأجناب الأربعة يلتمسون أن يروك للاستئذان بالرحيل
وجاء رسول من أمير مراکش يقول إن سيده سيفد الليلة

برسيا : إذا قدر لى أن أتلقى الخامس بسرور يعادل سرورى
بوداع الأربعة الآخرين ، ابتهجت بقدمه ، على أنه لو

اجتمعت فيه بيض شمائل الأولياء إلى سواد وجه الشيطان
لحبذته كاهناً ، ونبدته قريناً — هلمى نريسا — « الخادم »

أنت تقدمنا . بينما نحن نقفل الباب فى وجه مخاطب ، إذا
مخاطب غيره يقرع الباب .

« تخرجان »

المشهد الثالث

البندقية — ساحة عامة

- شيلوخ : ثلاثة آلاف درق — حسن بسن
 باسانيو : أجل ياسيدى لثلاثة أشهر
 شيلوخ : لثلاثة أشهر . حسن بسن
 باسانيو : بصك على أنطونيو كما أنباتك
 شيلوخ : بصك على أنطونيو — حسن بسن
 باسانيو : أأعتمد عليك ؟ أتسعفى ؟ ما جوابك ؟
 شيلوخ : ثلاثة آلاف درق ، لثلاثة أشهر ، بصك على أنطونيو !
 باسانيو : ماقولك فى هذا ؟
 شيلوخ : أنطونيو كفء " لهذا القدر
 باسانيو : أعندك ريب ؟
 شيلوخ : لا ، لا . إذا قلت إنه كفء ، فالمعنى أنه قادر على الوفاء .
 سوى أن مملوكاته ليست بثابتة . له سفينة فى طريق طرابلس ،
 وثانية فى طريق الهند ، وسمعت عن ثلاثة تبعم المكسيك ،
 ورابعة تنحو نحو إنجلترا ، وعن سفين أخر متوزعة فى آفاق

آخر . غير أن المراكب ليست إلا خشباً ، والملاحين ليسوا
إلا أناساً . دع أخطار الأمواج والأرياح والصخور . إلا
أن الرجل كفء للوفاء . ثلاثة آلاف دوق . أظن أنني
أستطيع قبول صكه

باسانيو : تستطيع ولا شك

شيلوخ : سأنظر فيما إذا كنت قادراً ، وأفكر في الأمر قبل البت فيه ،
أيتسنى لي أن أكلم أنطونيو ؟

باسانيو : إن أحببت تناول العشاء معنا

شيلوخ : نعم لتشتتم منى ربح الخنزير ، وليدخل في جوف ذلك الحيوان
الذي دعا عليه نبيكم الناصري ، فأسكن فيه الشيطان .
حباً لكم إن تكن بيني وبينكم مبايعة أو مشاركة ، أو
محاذة ، أو مماشة إلخ . أما المؤاكلة ، والمشاركة ، والمشاركة
في الصلاة فلا . ما أخبار التجارة في المصنفق — من القادم ؟

« يدخل أنطونيو »

باسانيو : السنيور أنطونيو

شيلوخ : « منفرد » ما أظهر الرفض على وجهه المرائي بالتقوى .
أبغضه لأنه نصراني ، وخصوصاً لأنه جاهل أبله ، يقرض

المال بلا ربح ، ويسقط قيمة النقد في البندقية . لكن
أخذت بتلابيبه يوماً لقد شفيت حزازاتي القديمة منه . هو يبخس
أمتنا المقدسة ويسخر — حتى في المصنف الذي يجتمع فيه
التجار عادة — منى ومن معاملاتي ومن أرباحي المحللة التي
ينعتها بالربوية . لعنت عشريني إن كنت غافراً له هذه الذنوب

ياسانيو : أسمعت ما أقول ؟

شيلوخ : كنت أحسب ما بين يدي من النقود ، ويخيل لي — إن
صدقت ذاكرتي — أنني لا أستطيع في الحال تجهيز ثلاثة
آلاف دوق كاملة . بل يخطر لي أن طوبال — وهو من أغنياء
قوى — يجيبني لي ما أطلب . لكن مهلاً ؛ إلى أي أجل
« غاطباً أنطونيو » عم صباحاً ياسيدي ، كنا في ذكراك

أنطونيو : شيلوخ . إنني على كوفي لا أقرض ولا أقترض بربح أجدي
مضطراً إلى مخالفة مألوف قضاء الحاجة صديقي « لك لسو »
« أيعلم المقدار الذي تطلبه ؟

شيلوخ : نعم ، نعم ، ثلاثة آلاف دوق

أنطونيو : لثلاثة أشهر

شيلوخ : كنت قد نسيت . لثلاثة أشهر كما قلت آنفاً . بصك منك .

حسن بسن . لننظر قليلا . لكن أما سمعت أنك لا تأخذ
ولا تعطى بالفائدة

أنطونيو : بلى ، والحق ما سمعت

شيلوخ : عندما كان يعقوب يرعى سائمة عمه لابان — ويعقوب هذا
بفضل أمه الحكيمة هو الثالث من نسل سيدنا إبراهيم . . .

أنطونيو : علام تستشهد به ؟ أفترعم أنه كان يقرض بالربا ؟

شيلوخ : لالم يكن مقرضاً بالربا . لم يكن ذلك ما يفعله بمحصر المعنى ،
ولنما كان المتفق عليه بينه وبين لابان أن كل الخراف التي
تنتج معلمة بلونين ، تجعل أجراً ليعقوب . فلما كان آخر
الخراف وحالت النعاج ، فالتصمت ذكورها ، خطر
لراعيها القطن أن يقتطع قضباناً يعريها من قشورها ، ويضعها
تجاه النعاج وقت ضرابها ، فنجم من رؤيتها أن النعاج
نتجت حُملاً ناعماً مخططة البُلُود بلونين ، وهذه الحملان حقت
ليعقوب . فهذه وسيلة من وسائل الكسب بآرك الله ليعقوب
فيها . وكل ربح — ما لم يجئ من السرقة — فهو حلال
أنطونيو : كان يعقوب يخدم على كراء لا يسعه استزادته ، ولا الانتفاص
منه إلا ما يشاء الله وما لا يستطيعه أحد سواه . أفترعم هذا ؟
مثلاً مبيعاً للربا ؟ وهل ذهبتك وفضلتك نعاج وكباش ؟

شيلوخ : ما أدرى ، ولكننى أستتجها بمثل تلك السرعة . تنبه لهذا
ياسيدى !

أنطونيو : وأنت يا باسانيو تفتن ، إن الشيطان يستطيع الاستشهاد
بالتوراة لتصويب أعماله ! فما مثل النفس الشريرة التى تجىء
بتلك الاستشهادات الصالحة إلا مثلُ المجرم الذى يتسم ،
أو الثمرة الناضرة التى لبها متعفن . ما أكثر الظواهر الخادعة
التي تشبه الرذيلة بالفضيلة !

شيلوخ : ثلاثة آلاف دوق - مقدار جسام . ثلاثة آلاف فى اثني

عشر ؟ لننظر : ما تكون فائدتها ؟

أنطونيو : مهما تكن . أفقتضى حاجتنا ؟

شيلوخ : يا سنيور أنطونيو طالما صادفتنى فى مصفق الريالتوفسخرت
من أعمالى المالية ومن مرابائى ، فلم أقابل ذلك إلا برفع
الكفين ، وجميل الصبر لأن الألم هو إحدى الآفات التى
نخصت بها أمتنا . وطالما نعتنى بالكافر ، أو الكلب الكليب ،
وبصقت على عباقي التى يعرف منها الناس يهوديتى ، كأنك
تعيبنى لاستعمالى ما هو ملكى . أما الآن فيظهر أنك فى
حاجة إلى : « شيلوخ نريد منك نقوداً » من يقول لى هذا ؟
أنت يا من ينفث فى لحيتى لعابه ، ويطرطنى من حضننه وكلاء ،
كما يطرده الكلب الأجنبي من عتبة البيت . تطلب منى ما لا

فيم ينبغي أن أجيب ؟ أبحرز الكلب نقوداً ؟ أيعقل أن كلباً
يقترض ثلاثة آلاف دوق ؟ أم يتعين علىّ أن أحرّ إلى النقرن ،
وأن أرد عليك بصوت خافت ، وقلب خاشع : « يامولاي
الجميل ! يوم الأربعاء المنصرم بصقت في وجهي ، ويوماً قبله
طردتني ضرباً برجليك ، ويوماً قبله دعوتني بكلب ، فقياماً مني
بحق تلك المكارم كلها سأقرضك نقوداً » ؟ !

أنطونيو : من المحتمل أنك ستجدني مسمياً لك بتلك الأسماء ، أو
باصفاً في وجهك ، أو طارداً إياك برجلي ، فإن كنت راعياً
في إقراضنا المالَ فلست دائناً به أصدقاء ، وأنيّ للصداقة
أن تتولد من حيث لارحم ؟ أنت تقترض عدواً فإذا أبطأ عن
الإيفاء في الأجل ، كنت في حلّ من تخريب القانون عليه
بكل قوته

شيلوخ : انظر كيف تستشاط . أريد أن أكون صديقاً لك ، وأن
أحصل على عطفك ، وأن أنسى ازدياءك إياي ، وأن أقضى
حاجتك الراهنة ، بلا تقاضي فائدة ما ، وأنت تأبى سماع
ما أعرضه عليك من جميل العرض

أنطونيو : لو فعلت لبالغت في الإجمال
شيلوخ : سأثبت لك مجاملتي — لنذهب إلى محرر عقود فتخطّ الصك
لديه ، ومن باب المزاح سأستكتبك إقراراً بأنك إذا لم تدفع

زُهاء ذلك الخط في يوم كذا يمكن كذا توجب لي عليك
اقتطاع لبرة من لحمك في المكان الذي أختاره من جسمك . . .
أنطونيو : أوافق بارتياح على هذا الاقتراح ، وسأوقع على الصك محرراً
بهذا النص ، شاكراً لك هذه الحياطة اليهودية
باسانيو : لن تخط خطأ كهذا لأجل أبد الدهر !

أنطونيو : لاتخش بأساً يا صفي ، سأقوم بعهدى ، فبعد شهرين ،
أى قبل الأجل بشهر ، تردنى أو ساق بثلاثة أضعاف هذا القدر
شيلوخ : يا أبانا إبراهيم ! هؤلاء النصارى عجب أمرهم . . ساءت
فعاظم فقبحت بالناس ظنونهم . أنت مخبرى ماذا أكسب من
إنفاذ هذا الشرط إذا لم يف المدين بما عليه . للرطل من لحم
رجل أقل قيمة من رطل الضأن أو البقر أو الماعز . إنما أفعل
هذا توسلاً به إلى مودته ، فإن رضى فيها ونعمت ، وإلا
فأستودعكم الله راجياً ألا تبغونى بشر من حيث أردت لكم الخير
أنطونيو : أجل شيلوخ ، سأوقع على هذا الصك

شيلوخ : فتنفضل وانتظرني لدى محرر العقود ، وقل له : أن يخط
هذا الشرط المضحك ، أما أنا فأمضى بلحلب الدوقيات
والقاء نظرة في بيتى الذى يحرسه ماهن مكسال ، لا ينبغي
لرب البيت أن يستنيم لهنته ، ثم أدرككم :

الفصل الثاني

المشهد الأول

بلمنت - قسم في قصر بروسيا

« يدخل أمير مراكش مع أتباعه وبرسيا مع أتباعها ونريسا »
« معازف »

الأمير : لا تنفري من سمرة أديمي ، فإنها مَسْحة من جوار الشمس لي
في مسقط رأسي . على أنك لو جئتني بأبهي رجل من أهل
هذه الأقاليم الشمالية التي لا تكاد أشعة النهار تذيب صقيعها
لواقفته موقف الفيضاد ، وأشهدتك من منّا أشد احمراراً ؟
ثم اعلمي ياسيدي أن رؤيتي طالما أرعدت الشجعان ،
كما أنها - وحبك - طالما كانت قيد الأوايد من الحسان في
أوانس بلادى ، ولئن حدثني شيء على التبدل بلون مُشَقِّقٍ
من لوني القاتم لما كان إلا ابتغائي رضاك يا مليكتي !
برسيا : لن أجعل لإيثاري قائماً على ما تشهد به عيناي ، وأنا في
عهد طفولتي واغتراري ، بل أنا تابعة لحكم القرعة دون

اختيارى ، ولولا أنى مقيدة بهذا القيد الذى إنما جعلت به زوجاً للموفق فى فطنته ، لما كان بين الخطّاب الدين رأيتهم واحد أولى منك بعطى

الأمير : هذا كبير وأشكروه لك . . ثم أستزيدك جميلاً : أن تدلبنى على موضع تلك الصناديق ، فأتبعن بختى . حلفت بهذا الحسام الذى قتلت به صوفيّاً وصرعت أميراً أعجميّاً ، وأحرزت النصر العزيز فى ثلاث وعكات ، جرت بينى وبين السلطان سليمان ، لو اقتضانى غرامى أن أردّ كل سامى الطرف ناكس البصر ، أو أن كافح كل قرم عنيد قهار شديد ، بل لو سامنى انتزاع رضيع الوحش الضارى عن ضرع أمه ، أو مناوأة الضيغم المحصور وقد استفزه القوم ، لفعلت طمعاً فى الظفربك ، ولكنه — واحتربا — أمر منوط بالمقادير ، والمقادير ربما سددت سهم الضعيف وأطاشت سهم القدير ، وربما أدنت حظ الآجر وأعملت حظ الأجير ، ففهننا مجال المكروه ، لا البطل ، وإنى لأخشى أن أخفق حيث يفوز من هو درى فأموت بشجرى

برقيا : أمامك اثنان لا ثالث لهما ، إما أن تعدل وإما أن تصيب ما يقضى به لك الصندوق الذى تعيّن به هذا بعد أن تقسم على أنك إن أخفقت لم تتخذ لك زوجاً بقية عمرك . تفكر ثم تخير

الأمير : رضيت بهذين الشرطين : لنمض فأعلم ما يقضى به طالعي
برسيا : بل نذهب أولاً إلى حيث تحلف يمين الموافقة ، وبعد العشاء
تشرح في الخيرة
الأمير : أسأل الله إنجاح قصدى فإني بعد هذا الاقتراح : إما أسعد
الخلق ، وإما أتسهم .

المشهد الثاني

البندقية — جادة

« يدخل لنسلو جوبو »

لنسلو : ضميري يحتم عليّ أن أترك خدمة اليهودى مولاي . والشيطان
على مقربة مني ، يخادعني بقوله : جوبو ، لنسلو ، يا صديقي
لنسلو ، أو يا صديقي جوبو ، أو يا صفيقي لنسلو جوبو ،
أعمل فخذليك ، وانج بنفسك . ثم يقول لى ضميري : حذار
يا لنسلو التزيه ، حذار يا جوبو المستقيم ، أو كما كنت
أقول آنفاً : أيها التزيه لنسلو جوبو
لا تبرح ، وترفع عن إجهاد فخذليك في الهزيمة . إلا أنه — أى
الشيطان — لا يلبث أن يعيد عليّ نصيحته بالارتحال متشدداً

فيها مهيباً لى : « أفلح . تشجع . أنجُ بنفسك » . عندئذ يعلق ضميرى برقبة فؤادى ، ويقول لى عن حكمة : « يا صديق لنسلو القويم ، ابن الرجل المستقيم وابن المرأة المستقيمة » — ذلك أن والدى كان يدوق الثمرة التى بين يديه ولا يخلو من سلامة فى الذوق: عندئذ يقول ضميرى: « البث لنسلو » ، فيقول الشيطان : « فراراً » فيقول الضمير : « إياك » ، فأقول لأحدهما : « يا ضميرى حسنت نصيحتك » . ثم أقول للآخر « أيها الشيطان أين الصواب فى مشورتك » . لو جارت الضمير لأقمت مع اليهودى الذى هو — أستغفر الله — ضرب من الشيطان ، ولو فارقت اليهودى لأصبح زمامى فى يد الشيطان الذى هو — ولا مؤاخذه — الشيطان بعينه ، وهذا اليهودى بشخصه . وبلتمتى إن ذمتى لتركب الشطط حين تنصح لى بالمكث عند اليهودى . وإنما الشيطان هو الذى ينصح لى نصيحة الصداقة . سافر ، سافر . أمرك مطاع أيها الشيطان

« يدخل جوبو العجوز حاملاً سلالاً »

جوبو : ياسيدى الفتى ، أين الطريق التى توصل لى بيت اليهودى ؟
لنسلو : « منفرداً » يا لله ! هذا أبى ، والذى بالحلل ولم يعرفنى
لشدة حسره ! سأختبره اختباراً مداعبة

جوبو : ياسيدى الفتى ، أين الطريق التى توصل إلى بيت اليهودى ؟

لنسلو : عندما تصل إلى العطفة الأولى تحيد يمينا ، فإذا بلغت العطفة الثانية تحيد شمالا ، ثم تدرك العطفة الثالثة ، فهناك لا تحيد إلى جهة من الجهات وتتجه بانحراف إلى بيت اليهودى

جوبو : يا فيض الله ، هذه طريق لاتسهل معرفتها . أنت مخبرى إن كان الفتى المقيم معه - واسمه لنسلو - مقبلا معه أم لا ؟

لنسلو : أتسأل عن المسيو لنسلو الأصغر «متفردا» تأملوا فى الآن سأستلمو المياه - أتسأل عن المسيو لنسلو الفتى ؟

جوبو : لا ياسيدى ، ولكن عن ابن رجل فقير أنا أبوه - وإن كنت أنا مدعى هذه الدعوى ، رجل مستقيم معسر ، مدقّيع ، لكنه - بحمد الله - حسن السيرة والأخلاق

لنسلو : لا يهنا أبوه كائنا من كان ، وإنما نتكلم على لنسلو الأصغر

جوبو : أجل ، بإذنك نتكلم على لنسلو

لنسلو : لا تتكلم على لنسلو أيها الشيخ بعد الآن ، فإن ذلك

الشاب قد أذن به الدهر أو القدر أو أى مسمى آخر
 بأسماء الصروف الصارمة لحبال الآجال من علمية وغير علمية
 فمات موتاً ، أو بعبارة أشيع فى العامة ذهب إلى السماء .

جوبو : أعفانى الله من هذا المصائب ، فالقى هو سنى ،
 وحيدى ، عكاز شيخوختى

لنسلو : أظاهر على أننى أشبه عصاً أو هراوة أو دعامة خيمة
 أتبيتنى يا أبى ؟

جوبو : لا يا سيدى الفقى ، لكن أرجو أن تقول ولدى (رحمه الله)
 حتى أم ميت

لنسلو : ألم تعرفنى يا أبت ؟

جوبو : أسفًا يا سيدى إن نظرى ضعيف ولم أتبينك

لنسلو : لو كان بصرك سليماً . . . ومن هو فى الآباء ذلك الفطن
 الذى يعرف ابنه . . . أيها الشيخ . سأعلمك بأنباء نجلك .
 باركنى « يجوه » ينبغى أن يبرح الخفاء . القتل لا يخفى دهرًا
 ولكن انتساب الولد لأبيه قد يستمر طويلاً ثم تنجلي الحقيقة

جوبو : أرجو يا سيدى أن تنهض ، فإنى موقن أنك لست بلنسلو ولدى

لنسلو : لا تهاد أكثر فى هذا المزاح ، باركنى ، أنا لنسلو
 غلامك سابقاً ، ونجلك الآن ، وابنك إلى الأبد .

- جوبو : لا أصدق أنك ابني
 لنسلو : لا أدري ما الذى يحسن بي اعتقاده في هذا المعنى ؛
 لكننى أنا لنسلو الماهن لدى اليهودى ، وعلى ثقة لا ريب فيها
 من أن امرأتك مرغريتا هى أمى
 جوبو : اسمها في الحقيقة مرغريتا ، غير أنى لم أكن لأقسم
 أنك لنسلو من لحمى ودى . تبارك الله ما هذه اللحية التى
 صار الشعر فيها أكثر منه في ذنب «دوبين» حصاننا الجرار
 لنسلو : إذن شعر دوبين ينمو خلافاً ، لأننى في آخر ما رأيته
 كان الشعر في ذنبه أكثر منه في ذقنى
 جوبو : لقد تغيرت . كيف حالك مع مولاك — أنا قادم إليك
 بهدية ، أعلى وفاق أنما ؟
 لنسلو : على المرام ، على المرام . لكننى أنا قد عزمت على الهزيمة إلى
 : أبعد ما أستطيع عن ذلك اليهودى القبح . أتهدايه ؟ أولى لك
 أن تضع حبلاً في عنقه وتشدّه . أمانتى جوعاً ، وهذه
 أضلاعى تقدر أن تعدّها بأصابعك . يا أبت أنا مسرور
 بمجيئتك . آثر بهديتك سيداً يدعى با سانوي . فإنه يلبس
 خادمه خلعة فاخرة نفيسة ، فإن لم يتيسر لى أن يستخدمنى
 هذا السيد ، لبثت أفرّ ما دام في الأرض طول وعرض .
 يا لسعد طالعى ! ها هو ذا آت بنفسه . كلامه يا أبى ولألا

فلما إذا استمررت تحت أمر اليهودى صرت يهودياً

« يدخل باسانيو يليه ليوناردو وبعض خدم »

باسانيو : « مخاطباً خادماً » ليكن . قبلت . لكن ينبغي الإسراع
ليتسنى تهيؤ الطعام الساعة الخامسة . احرص على إيصال
هذه الرسائل . أوص بالخلع الجديدة . قل لغراتيانو أن
يجيئني بعد حين

لنسلو : كلمه يا أبى

جوبو : ليبارك الله في سيادتك

باسانيو : شكراً جزيلاً . أتبعني مخاطبتى في شيء ؟

جوبو : هذا غلامى يا سيدى ، وهو غلام فقير

لنسلو : لست فقيراً يا سيدى ، ولكننى ما هن لدى اليهودى الغنى ،

ولتمسى هو ما سيعرضه والذى لسيادتك

جوبو : هو مريض تشوقاً لخدمة . . .

لنسلو : بلا تطويل ولا تقصير ، أنا في خدمة اليهودى ، وأتبعني

ما سيعرضه أبى . . .

جوبو : ولا يخفى على سيادتكم أن اليهودى وهذا الغلام ليسا بابنى عم ،

بمعنى أنه . . .

لنسلو : بعبارة مرجزة : اليهودى أساء التصرف في حقى ، وهذا هو

السبب في الأمر الذي سيقترحه والذي الذي هو — كما أرجو — طاعن في السن !

جوبو : أنا حامل إلى سيادتك بضعة أزواج من الحمام ، هل لك في قبولها ؟ وآماسي هو . . .

لنسلو : الخلاصة أن هذا الطلب جائز القبول ، كما سيذكره لسيادتك هذا الشيخ المستقيم ، الذي هو فقير ، وفوق ذلك هو والذي . . .

باسانيو : ليتكلم أحدكما عن الآخر . ماذا تريدان ؟

لنسلو : ألتمس الدخول في خدمتك يا سنيور

جوبو : هذا كل ملتئمنا

باسانيو : «إل لنسو» أعرفك جيداً وأجيب طلبك . كان شيلوخ

يكلمني عنك في هذا اليوم ، وسيكون له الفضل في رقيك

إن كان من الرقي الانصراف عن خدمة يهودى موسر ، إلى

خدمة شريف معسر

لنسلو : صدق المثل القديم : لقد تقاسمتا النعمتين أنت وشيلوخ :

له الأولى ، ولك الأخرى

باسانيو : صدقت «إل جوبو» اتبع غلامك أيها الوالد الصالح

«إل لنسلو» اذهب فاستأذن مولائك السالف ، ثم

استفهم عن داري «إل خدمه» ألبسوه خلعة أبهج

زينة من خلخ رفاقه . . . « ياجى ليوناردو »

لنسلو : يا أبى أصبح الخُرج فى الخُرج أنا لا أعرف كيف تلتصق الخدمة ، ولا كيف يستعمل اللسان « ناظرًا يده » أما يندى فأية يد ممتدة للقسم على التوراة فى جميع إيطاليا تشبه يها ؟ سأكون سعيد الطالع . . . لا جرم . هذا الخط يدل على طول البقاء كما أرجو . وهؤلاء ، فى جانب الزواج ، نسوة شائقات ، لكنهن لسن بكثيرات ، وماذا تكون ؟ خمس عشرة امرأة ، وإحدى عشرة أيمًا وتسع بنات . هل هنّ زيادة عن الكفاء للرجل المستقيم . هذا عدا نجاتى ثلاث مرار من الغرق ، ومرة من هلكة السقوط عن حافة فراش من الريش . على أن هذه النجاة الأخيرة ليست بعجيبة ، ولكنها نجاة . ولئن كانت السعادة امرأة فلا شك أنها أحسنت عجن المادة التى فتلت لى منها هذه الخيوط . تعال يا أبى ، سأستأذن اليهودى فى طرفة عين

« يخرج لنسلو وجويو »

باسانيو : « غاطبًا ليوناردو » أتضرع إليك أيها العزيز ليوناردو . تنبه لهذا ، ومتى اشتريت تلك الأشياء وربتها عند وشيكًا ، ليتم بك أنسنا الليلة ، فى مجلس شراب سيشهد

- عندى أكرم أصدقائى . اذهب . بادر
- ليوناردو : سأتى بأحسن ما أستطيع . « يدخل غراتيانو »
- غراتيانو : « مخاطباً ليوناردو » أين مولاك ؟
- ليوناردو : ها هو ذا يتمشى هناك « يمشى ليوناردو »
- غراتيانو : « جهرأً » سنيور باسانيو . . .
- باسانيو : « ملتفتاً » غراتيانو
- غراتيانو : لى اقتراح عليك
- باسانيو : قد أجيب
- غراتيانو : ذلك ما ألهج به : سأصحبك إلى بلمنت
- باسانيو : إذا أصررت لم أخالف ، لكن سمعاً يا غراتيانو : من مألوفك أن تتكلم بلا احتباس ، وتجهر بالصوت . فهذا ليس بعيب فيما بيننا ، ولكن ربما لم يحسن حيث تكون مجهولاً — فتكلم ولطف حدة طبعك ، بأن تضع فيها بعض نقط من الاحتياط ، والتواضع ، وإلاّ فر بما جلبت خطتلك على ما يضر بى فى رأى الأناس الذين أقصدهم ، بل ربما قوّضت آمالى
- غراتيانو : أنصت يا سنيور باسانيو : إذا لم تجدى ثمة « معتدلاً » فى سيرى ، متكلماً بوداعة ، ممتنعاً عن ألفاظ المهجر إلاّ أحياناً ، ممسكاً بكتب الأدعية والتلاوات الدينية ، جاداً

في كل مقام ، جاءلاً في أوّل الصلاة قبعتي نصب عيني
 هكذا، فتنهداً، فقائلاً : آمين ؛ مراقباً كل مصطلحات
 الأدب على نحو ما يفعل اليافع الذي يحاول إرضاء
 جدته . . . إذا لم تجدني فاعلاً كل ما ذكرت فلا كانت
 لك في ثقة ، ولا كان لك على معول

- باسانيو : رضىيت ، وسأرى المنهج الذى تنهجه
 غراتيانو : لكننى أستثنى مجلس الليلة وما سيجرى فيه
 باسانيو : خسارة في مثل هذه الليلة أن تفقد طلاقك ، بل
 ينبغي أن ترتدى أحسن أزياء الابتهاج فيكتمل بك سرور
 الإخوان أفضل ما كانوا استعداداً لذلك . سأتولى عنك الآن
 لقضاء بعض الشؤون
 غراتيانو : وأنا أنتظر هنا اورنزو ورفقاه ثم نجيبك جميعاً في ساعة
 العشاء .

المشهد الثالث

نفس المدينة - مزارعة في بيت شيلوخ

« تدخل جسيكا ولنسلو »

جسيكا : أنا متكدرة لتركك أبى ، وستكون لك وحشة في هذا البيت الجهنمى ، الذى كنت تؤنسه أحياناً . امض مزوداً ، وهذا دوق هبة . لنسلو سترى لورنزو بين مدعوى سيدك الجديد للعشاء فأعطه هذه الرسالة ، لكن سرّاً . اذهب . لا ينبغي أن يرانى أبى أحدثك .

لنسلو : وداعاً ، وإليك هذه العبرات بدلاً من العبارات . يالك من وثنية ساحرة ، بل يهودية شائقة ! لكن لم يكن واحد من هؤلاء النصارى ساعياً مسعاً للص للفرز بك ، إني إذن لغراً . لكن هذه الدموع قد استغرقت شجاعتي ، وأذابت صلابتي . أستودعك السلامة « يخرج »

جسيكا : « منفرة » اذهب معافى يا لنسلو . ما أظلمنى لأبى بخجلي من انتسابي إليه ! لكننى مخالفة له في الطبع ، وإن كان الدم واحداً . أى لورنزو إذا صدقت بوعدهك

فررت إليك من هذا المعترك الأليم ، فصبات عن
دينى ، وبت على مذهب قرينى «تخرج»

المدينة عينها - جادة

« يدخل غراتيانو - لورنزو - سالارينو - سالانيو »

لورنزو : أجل سنتسلل فى أثناء الوليمة فنغير أزياعنا فى دارى ،
وبعد ساعة نعود
غراتيانو : لم نستوف أهبتنا
سالارينو : لم نتكلم بعد عن موكب المشاعل
سالانيو : بشس الاختراع ، إلا إذا صفف بإبداع ، وعندى
أن الاستغناء عنه أفضل .
لورنزو : الساعة إنما هى الرابعة الآن ولدينا فسحة ساعتين لإعداد
كل شئ

« يقدم لنسلو بكتاب »

لورنزو : « متعاً » ما أنجبارك يا صاحبي لنسلو ؟
لنسلو : إن شئت أن تفتح هذا الكتاب علمت

لورنزو : تبينت الخط ، وهو جميل ، حررته يد بيضاء أنصع
من هذا الطرس
غراتيانو : ألوكة غرام ولا ريب

« لنسلو متأغراً للانصراف »

لنسلو : بإذنكم يا مولاي
لورنزو : إلى أين ؟
لنسلو : إلى حيث اليهودى مولاي العتيق ، أدعوه لتناول العشاء عند
النصراني مولاي الجديده
لورنزو : « سعليا لياء كسما مهلا ، نخذ هذا . قل للعزيزة جسيكا إننى
سأتى فى الميقات . قل لها ذلك سرًا . انصرف

« يبتعد لنسلو »

لورنزو : « مساءً أيها السادة : أتريدون أن نتأهب لمهرجان
السخرية فى هذا المساء ؟ قد تيسر لى حامل مشعل
سالارينو : سأمضى من فورى
سالانيو : وأنا أحذو حذوك
لورنزو : أدركانى وغراتيانو فى دار اليهودى بعد ساعة
سالارينو : لن نتخلف

« يبتعد سالارينو وسالانيو »

غراتيانو : ألم يكن الكتاب من جسيكا الحميلة ؟
 لورنزو : يجب أن أطلعك على كل سر . بعثت تسألني كيف
 أختطفها من بيت أبيها ؟ وكيف تنجو بما ستحملة
 من الذهب والحجارة الكريمة ؟ وتخبرني أنها استصنعت خلعة
 وصيف لتختفي بها على الرقباء . لو تقبل الله أباه يومًا
 في السماء ، لثم له ذلك بشفاعة تلك الكريمة الحسنة ، ولو
 استجاز مصاب أن يعترض سبيلها لما ترخص الملك لإلّا من
 كوزنها ابنة يهودى بلا إيمان . هلم بنا وقرأ هذه في الطريق .
 ستكون جسيكا حاملة مشعل .
 « يخرجان »

المشهد الخامس

البندقية — أمام بيت شيلوخ

« شيلوخ ونسلو »

شيلوخ : سترى عما قليل بعينيك سعة الفرق بين شيلوخ العجوز
 وباسانيو « يدعى » جسيكا — لن تأكل الحلوى بشراة كما
 كنت تحلو لي عندي — جسيكا — لن تقضى معظم وقتك في

النوم والغطيط وتمزيق ثيابك - جسيكا أنتحضرين ؟

لنسلو : « منادياً » جسيكا

شيلوخ : من كلّفك أن تدعوها ؟

لنسلو : طالما وبختني لأنني لا أصنع شيئاً إلا بأمر

« تيجي » جسيكا »

جسيكا : أنتدعوني ، ماذا تريد مني ؟

شيلوخ : سأتعشى اليوم خارجاً يا جسيكا . هذه مفاتيحي .

لكن علام أذهب ؟ لم يدعوني عن حب - ما ربّ لاحقاوة -

بل أذهب انتقاماً منهم لآكل من نفقة ذلك النصراني المسرف ؟

بنيتي جسيكا راقبي الدار . سأغيب برغمي خائفاً من كيد

يكاد لي ، لأنني رأيت أكياس فضة في منامي أمس

لنسلو : أضرع إليك يا سيدى أن تذهب ، فإن مولاي البلديد قد

عول على وعده

شيلوخ : وأنا معول على وعده كذلك

لنسلو : ولقد أضمرنا شيئاً لهذه الليلة ، وأسروا النجوى فيما بينهم .

لن أبوح بما أخفوه ، لكنك إذا رأيت الليلة مهرجاً أناس

متكررين لم يكن ذلك إلا مصداقاً لرُءاف أنني يوم الاثنين

المنصرم المعروف في التاريخ باليوم الأسود في الساعة السادسة

صباحاً ، على حين أن الرعاف الذى جرى لى قبله إنما كان فى يوم أربعاء الرماد نحو الأصيل

شيلوخ : سيتنكرون ؟ اسمعى يا جسيكا . غلقى الأبواب بإحكام

ولذا سمعت طبلًا وزمرًا نراز النغم فحذار حذار أن تذهبي

إلى الكوة ، أو أن تطلي بوجهك على الجمهور لترى الوجوه

المستعارة التى يطوف بها أولئك النصارى البلهاء . أقتلى

آذان دارى « التوافذ » ، ولا تصل ضوضاء أولئك الحجانين

إلى بيتى الساكنين الآمين . قسمًا بعضا يعقوب إننى

ذاهبٌ فى هذا المساء إلى تلك الوليمة بكرهى وبلا أدنى رغبة

منى لكننى سأذهب « إك نسلو » اسبقنى وقل إننى قادم

لنسلو : سأسبق يا سيدى « بصوت متخفف بلسيكا » لا يمنعك هذا

من التطلع فربما بجاءك نصرانى موعود ، خليك بمودة

كراشم اليهود « ينصرف »

شيلوخ : ماذا يقول هذا الغر من نسل هاجر ؟

جسيكا : قال وداعاً يا مخدومتى ولم يزد

شيلوخ : غلام لا بأس به . لكنه أكل نهم بطيء فى العمل ،

نؤوم ، كالسنور البرى ، أنا لا أحب الزنابير فى خليقى ،

ولهذا طبت عنه نفساً لغيرى ، فليعن مولاه الجديده على إنفاق

المال الذى أقرضته إياه بسرعة . عودى يا جسيكا ، ولعللى

لا ألبث أن أرجع . افعل ما أوصيتك به . غلق الأبواب :
 « من احتبس ، لم يجتس » ! هذا مثل دائم الحضور في
 ذهن المقتصد « يتعد »
 : أستودعك الله . ولئن تحقق ما نويت لقد فقدت أبي وفقدت
 أنت ابتك « يتعد »

المشهد السادس

عين المكان

« يدخل غراتيانو وسالارينو متكبرين »

غراتيانو : هذا هو الرواق الذى أوعز إلينا لورنزو أن نتظره فى فيثه
 سالارينو : مضت الساعة أو كادت
 غراتيانو : عجيب أن يتباطأ وما هذا شأن العاشقين ؟
 سالارينو : من عادة حمام الزهرة أن يطرن إلى عقد مودات جديدة
 بأسرع مراراً مما يجتمن للبقاء على مودة قديمة
 غراتيانو : ستكون الحال أبداً هكذا : أى الضيوف وقد فارق
 المائدة تكون شهوته للطعام كما كانت حين جلوسه إليها ؟ أى

جواد إذا رُدَّ في الطريق الوعرة التي جازها من قبل ،
لا يتباطأ في الرجوع ؟ في كل أمور هذه الدنيا نحن أنشط
حين نسعى إلى المطلوب منا حين نتمتع به . انظر إلى القُلُك
إذ تفارق مرفأها الأصلي فراق الولد الشاطر لبيت أبيه ،
فتنشر رائحتها الزاهية الألوان ، يداعبها الهواء دعاب الهوى ، ثم
انظر إليها تعود عودَ ذلك الولد الشاطر ماوية الأضلاع عمزة
الشارع مهذمة الجوانب بفعل النسيم الفاسق " يحيى لورنزو " .
هذا لورنزو ، سنستأنف الكلام في هذا

لورنزو : يا أصدقائي الأعزاء ، اغفروا لي لإبطائي الممل ، فلنأتم أعمالى
التي سببته . وإلى لأعدكم ، بأن أنتظركم ما شتم حين يخطر
لكم أن تختطفوا عرائس " يتقدم " هذا بيت اليهودى نسيبي -
هيا ، أأحد هنا ؟

جسيكا : « ملابس الوصيف تنظر من النافذة » من أنت ؟ تسم لأزداد
طمأنينة ، وإن عرفت الصوت

لورنزو : حبيبك لورنزو
جسيكا : لورنزو محقق ، حبيبي بلاريب ، ألى عندك من الهوى
ما لك عندى ؟

لورنزو : السماء وقلبك يشهدان بصدق غرامى
جسيكا : « ملقبة مستدقاً » تناول هذا الصندوق . فيه ما يستحق

هذا العناء . أنا فرحة بأن الوقت ليل ، وأنتك لا تستطيع
رقيتي ، لأنني خجلة من تنكري بهذا الملبس . إنما الغرام
أعمى ، وليس للمتحابين أن يروا هم آثار جنونهم ، إذ لو
قدروا على استجلاء الحقيقة لحجل الغرام نفسه من تشكلى
بهذا الشكل

لورنزو : انزلى فقد جعلتك حاملة مشعل
جسيكا : ما تقول ؟ أبيدى أحمل النور الذى يكشف فضيحتى ، على
كونها أجدراً بالإخفاء لشدة وضوحها . لا بدلى من الاستار
لورنزو : حسبك استئراً يا حبيبتى فى ثوب الوصيف ، أسرعى لأن
الليل يتقدم ونحن منتظرون فى وليمة باسانيو
جسيكا : سأقفل الأبواب وأجلب ما أستطيعه من الدوقيات
« تنوارى من النافذة »

غراتيانو : حلفت بقبعتي إنها لطيفة وليست يهودية
لورنزو : أقسم لكم إننى أحبها بكل جوارحي ، لأنها حسيمة متبصرة —
على ما أستخلص ، ولأنها جميلة — على ما أرى ، ولأنها
مخلصه — على ما تبينت ، فبالنظر إلى كونها فتاة عاقلة حسنة
طاهرة ، قد أقررت منزلتها فى قلبى مدى العمر « تحضر
جسيكا » سرعان ما حضرت . لتصرف يا سادة . إن إخواننا
المتنكرين ينتظروننا

« يذهبون إلا غراتيانو ويحضر أنطونيو »

أنطونيو : من الشخص ؟

غراتيانو : أأست السنيور أنطونيو ؟

أنطونيو : أف يا غراتيانو ! أين الآخرون . الساعة التاسعة . وأصدقاؤنا في الانتظار . ستتلف زينة الليلة لأن العواصف هبت وباسانيو مبحر بعد هنيهة ، وقد أرسلت عشرين نفساً في طلبكم :
غراتيانو : حبلاً ما تبشرني به فلا شيء أحب إلى من الإقلاع ، ولو في مثل هذا الليل .

« ينصرفان »

المشهد السابع

بلمنت — مزارعة في قصر برسيا

« صوت معازف — تدخل برسيا وأمير مراكش وتبعهما »

برسيا : لترفع هذه الستارة ، ولبدل هذا الأمير النبيل على الصناديق الثلاثة « يرفع الحجاب وتظهر الصناديق ، أحدها ذهب ، والثاني فضة ، والثالث رصاص » الآن تعخير .

الأمير : «مبارك» الأول من ذهب ومكتوب عليه

من اصطفاى فقدمًا تمتت الناس وصلى
الثانى من فضة ومكتوب عليه :

من انتقانى فإنى أهل له وهو أهلى

الثالث من رصاص ومكتوب عليه :

من ابتغانى فأعزز بما يهين لأجلى

كيف أعلم أننى أحسنت الانتقاء ؟

برسيا : أيها الأمير فى أحد هذه الصناديق رسمى ، فإن اهتديت إلى
الصندوق الذى هو فيه فإنى لك .

الأمير : لينطقنى الله بالصواب . سأعيد قراءة الأبيات المنقرشة بادئاً
من أخيرها :

من ابتغانى فأعزز بما يهين لأجلى

علامَ المجازفةُ بكل شىء : للحصول على رصاص ؟

هذا الصندوق مشتمم الطالع . الرجل الذى يخاطر بكل شىء
جدير بأن يتطلب من وراء ذلك فوائد وافية . النفس العالية
لا تتدانى لالتماس مثل هذه المادة المستخينة . ماذا يقول
صندوق النضه ؟

من انتقانى فإنى أهل له وهو أهلى

قف قليلا يا أمير مراکش . زن قيمتك وزن إنصاف . لو رجعت في الحكم إلى ما تقوم به نفسك لأغلبيت . ولكنك مهما تغال ، وتكن على حق ، فربما لم تكن بالغاً من القدر ما يؤهلك لهذه الغيداء ؛ على أنني لو نظرت من جهة أخرى لما جاز لي الارتياح في قدرى ، ولا الإزراء على نفسى . ما أستحق ؟ أنا كفى هذه الحسناء بمحتدى وبجأى ، وبجمال ملاهى ، وأدبى ، وخصوصاً بجبى . لعل الهدى في وقوفى ههنا ؟ بل لنقرأ ما على صندوق الذهب :

من اصطفاى فقدماً تمنحت الناس وصلى

معناه أن كل إنسان يتمنى ربة هذا القصر ، وأن الخطأب من كل أطراف الدنيا يسعون لتقبيل الوعاء المشتعل على هذه الحوراء اللنيوية . فمن جهة قد تحولت فكدأفد أركانها ، وفيافى بلاد العرب إلى مسالك يسلكها الأمراء قادمين من كل صوب لمشاهدة جمال برسيا ، ومن جهة ثانية قد أصبحت مملكة الماء التى تشمخ بأمواجها إلى السماء غير ما نعة من توافد الأجانب يجوزونها كما تجاز الأنهار الصغرى ، ليشاهدوا جمال برسيا . فى أحد هذه الصناديق الثلاثة رسةها المعشوق ، أيمتثل كونه فى صندوق الرصاص ؟ من الإثم هذا

الظن . وذلك الجسم لا يليق أن يوضع ، حتى بعد الوفاة ،
 في مثل هذا المعدن الحقير . أفيكون الرسم إذاً في الفضة ،
 وقيمة الفضة أقل عشرة أضعاف من قيمة الذهب الخالص .
 وهل يعقل أن توضع لؤلؤة غالية هذا الغلاء في شيء أدنى من
 الذهب ؟ توجد في إنجلترا سكة مصور عليها ملك ، ولكن
 الملك على ظاهرها ، أما ههنا فالملك في ضمن مهد من
 الذهب . أعطوني المفتاح قد استخرت الله

برسيا : هذا مفتاحه يا أمير ، فإن كان رسمى فيه فلإني جاريته
 الأمير : « بعد فح صنوق الذهب » — يا للجنة ! ماذا أرى ؟ هيكل ميت !
 وفي عينه الفارغة قرطاس ؟ لنقرأ ما في القرطاس
 قل كائنًا من كنت عن ثقة
 ما كلُّ براق من الذهب
 عظة هي الكثر النفيس فلا
 بدع إذا ثبتت على الحقب
 لو كان رأيك غير مختلط
 في حين شعرك غير مختضب
 ماعدت هذا العود في ندّم
 ويمثل هذا الرد لم تُجسب

« بعد قراءة الأشعار يقول متعماً »

لقد أضعت وقتي . وداعاً أيها الغرام المحرق ! سلام عليك أيها القلب الذي لا يكثرث ! لقد أنثخت جراحى يا برسيا . ولكن لا أطيل العتاب ، بل أنصرف كما يليق بمن قامر فخر . « يخرج »

برسيا : لقد نجونا منه والحمد لله . أسدلوا الأستار ، ولا كان اختيار مشاكليه في اللون إلا كاختياره « تغرجان »

المشهد الثامن

البندقية — جادة

« يدخل سالارينو وسالانيو »

سالارينو: أيها الصفيّ سالانيو رأيت باسانيو مقلعاً ، يصحبه غراتيانو ، وأنا موقن أن لورنزو لم يكن في سفينتهما
سالانيو : ذلك اليهودى الفاجر أيقظ الدوج بصحبه وصراخه ، فذهب إلى سفينة باسانيو وفتش فيها

سالارينو: جاء بعد أن ألق المركب ، لكنه سمع أن لوززو وعشيقته
جسيكا شوهدا معاً في زورق ، ووكد له أنطونيو توكيداً
لايتمثل الريب أنهما لم يكونا في سفينة باسانيو

سالانيو: لم أرقط سخطاً أشدّ التباساً وغبابة وجنوناً من سخط ذلك
اليهودى السافل ، الذى كان يطوف الأسواق متحجاً صائحاً :
بنى . دوقيانى . وابنتا . فرت مع مسيحي . وادنابى
المتنصرة ! الإنصاف باسم القانون . دوقيانى . بنى . كيس .
بل كيسان من الدوقيات ، فرادى ومزدوجات اختلستهما
سليتى واحترست بجانبيهما مصوغات جمّة وألماسين نادرتين
ثميتين . ذلك سرقته ابنتى وكل ذلك معها الآن
سالارينو: الأدهى أن صبية البنديقية يتعقبونه صائحين : ألاماسانى . بنى .
دوقيانى

سالانيو : أخشى أن يتأخر أنطونيو عن الوفاء فى الأجل فيغرم قيم هذه
المسروقات كلها

سالارينو: ذكرتنى — حين ينفع التذكير — أمراً سمعته أمس من أحد
الفرنسيين وهو أن مركباً من مراكب بلدنا مشحوناً شحناً غالياً
قد ارتطم فى المضيق الذى بين فرنسا وإنجلترا ، فلما طرق
أذننى هذا الخبر فطنت لأنطونيو وتمنيت سرّاً ألا يكون ذلك
الموسوق من مراكبه

سالانيو: ماأجدرك أن تبلغ أنطونيو ما سمعته ، ولكن مع المراعاة التي
تلطف موقع الخير من نفسه

سالارينو: ما من رجل في العالمين أصدق وداداً من أنطونيو . حضرت
وداعه لباسانيو وسمعته يقول له : « لا تعجل عودتك كما
تقول ، ولا تهمل شؤونك من أجل ، بل امكث ما دعت
الحال . أما صكّ اليهودي فلا تخطره على بالك ، ولا يشغلك
عن غرامك ، كن فرحاً واقصر همك على إرضاء من تحب
بأجمل ما تستطيع من الأساليب » وبعد ذلك صافحه
بقوة ممتعاً من النظر إليه ، لأن عينيه كانتا مغرورقتين
بالدموع ، ثم تفارقا

سالانيو: أعتقد أنه إنما يعيش لخدمة صديقه . لنذهب إليه فنحاول
بما في وسعنا من الوسائل أن نخفف من تلك الكآبة التي
لا تفارقه

سالانيو: هلم ، هلم

المشهد التاسع

بلمنت — مزارعة في قصر برسيا

« تدخل نريسا يتبعها خادم »

نريسا : أرجو أن تسرع بإمالة الحجاب فقد حلف أمير أراغون
بمؤمن الموافقة على الشرط وسيحضر عما قليل للتخير « صوت أبواق »

« يدخل أمير أراغون وبرسيا وحشمهما »

برسيا : هذه هي الصناديق ، أيها الأمير النابه ، إذا اخترت منها
ما فيه رسمى عقد لك على فوراً ، وإن أخطأته كان عليك
يا مولاي أن تنصرف من هذه الديار دون أن تنبس ببنت
شفة

الأمير : القسم يقتضى ثلاثة شروط : أولاً ألا أخبر أحداً بالصندوق
الذى وقع عليه اختيارى ، وثانياً إذا لم أضع يدي على
الصندوق الرابع أن أمتنع من الزواج بتاتاً بعد ذلك ، وثالثها
إن لم أوفق لما جئت في التماسه أن أعود أدراجى من ساعى بلا
اعتراض

برسيا : هذه هي الشروط

الأمير : أنا مستعد لها ، فأسعدني أيها البخت ، وحقق آمالي منعماً .
أماى الذهب والفضة والرصاص ، ماذا يقول الرصاص ؟
من ابتغاني فأعزز بما يبين لأجلي

شكلك لا يعد بشيء يخاطر عليه . ماذا يقول صندوق
الذهب ؟ لنقرأ ما هو ذلك الشيء الذى يتمناه الأكثرون :
لا نزاع فى أنهم يعنون بالأكثرين جمهوراً العامة الذين
تغرم الظواهر ، لاكتفائهم بشهادة النظر عن تبطن السرائر
فهم كأخطاف الذى يبنى أعشاشه فيما برز من أعالي
الجدران ، فيتعرض بملك للطوارئ والآفات . لن أختار
ما يشتهي السواد كراهةً منى لماشاة السوق ، والاختلاط
بالطغام الجاهلين ، فإليك الالتفات أيها الكثر النقى . أعد
على عبارتك المنقوشة :

من انتقانى فإنى أهل له وهو أهلى

ما أحسن هذا المقال ! لا ينبغي لأحد أن يخادع القدر ،
ويصيب من العز أو الجاه أو القدر ما ليس به جديراً .
حبذا لو كانت الأموال والألقاب والرتب بالكفايات
لا البراطيل ، إذن لنزعت أعشاب سوء لا تحصى من محصول
الكرامات الصحيحة ولأخرجت غلالاً قويات من أكساد

التبن الذى لا قيمة له . لنترجع إلى شأننا : أحسبني كفواً لها .

أعطوني مفتاح هذا الصندوق فأرى ما فيه « يفتح الصندوق »

برسيا : الذى وجدته لم يكن حقيقاً بالزمن الذى أضعته فيه .

الأمير : ماذا أرى ؟ رسم أبله يقلم لى قرطاساً . أى شىء فى هذا

القرطاس ؟ ما أقل مشاكلة هذا الرسم لرسم برسيا ! وما

أبعد جوابه عما التمسته آمالى ! ألم أكن جديراً إلا برسم أبله ؟

أهذا كل ثوابى ؟ أولم يُلْقَ لى غيره !

برسيا : الخصومة والحكومة نقيضان لا يجتمعان فى واحد

الأمير : لنقرأ ما فى القرطاس :

من راضه ألم الخطوب فلاننى

بالنار قد مُحِصَّت سبع مرار

من عاش لم يأمن على طول المدى

خطلا يبادره وسوء خيار

فى الناس مخدوع يقبل ظله

فينال ظل سعادة وفخار

وفى خلى العقل مثلى بينهم

فى مظهر متألق غرار

أنى تكن ما أنت إلا مشبهى

فاحمل حمولك وانج من ذى الدار

مهما أطل الإقامة هنا بعد ما كان فلا أزداد إلا ظهوراً
بمظهر الحماقة . جثت برأس أبله وأعودُ برأسين . أستودعك
الله آيتها الزهراء . سأبر بقسمي لأحسن تملك نفسي وكظم
غيطي « يخرج الأمير مع حاشيته »

برسيا : كذا احتراق الفراشة بالنور . هؤلاء المجائنين الذين جفت
حواسهم لم يبلغوا من المهارة إلا إتقان الخسارة
نريسا : صدق من قال إن المشقة قضاء والزواج نصيب
« يدخل خادم »

الخادم : أين السيدة ؟
برسيا : ها هي ذى . ما تبتغي منها ؟
الخادم : ياسيدنى بالباب رجل من البندقية جاء مبشراً بقدوم مولاه
مهندياً إليك مازكاً من التحيات ، وما غلا من الحللى السنيات ،
حتى لحيل إلى أن شهر نيسان ، وهو مزدان بزينات الربيع ،
لا يتقدم الصيف بأجمل وبأرق . نأما يتقدم هذا الخادم
الأديب مولاه الآتى فى إثره

برسيا : كفى ، لا تزد ، فقد خشيت أن تضيف إلى هذا الإفراط فى
الثناء أنه من أقربائك . تعالى نريسا ننقع غلة شوقنا برؤية
ذلك الرسول الذى جاءنا بهذه المحامد كلها
نريسا : باسانيو . وفقه أيها الغرام « تخرجان »

الفصل الثالث

المنظر الأول

البندقية — جادة

« سالانيو وسالارينو »

سالانيو: ما أخبار الريلتو ؟

سالارينو: ثبت ما شاع عن غرق مركب لأنطونيو ثمين الأوساق في ذلك المضيق الذى يسمونه على ما أظن جودونس ، وهو مكان بعيد الغور ، دفن فيه مالا يحصى من الجوارى المنشآت ، إن صح ما تزعمه العجائز المنبثات

سالانيو: معاذ الله أن يكون ما سمعته إلا بهتاناً من أسخف قعيدة أكلت فطير البرطمان ، وأوهمت جاراتها أنها تبكى ثالث أزواجها . ولكن النبأ الصحيح الذى يبعث الأسى والأسف هو باختصار القول — منعاً للإسهاب وأخذاً بالمألوف من الكلام — أن أنطونيو النبيل ، أنطونيو النزيه ، أنطونيو الجدير بأشرف النعوت التى نعت بها لإنسان . . .

سالارينو : هلم إلى الواقع
 سالانيو : ماذا تقول ؟ الواقع . . هو أن أنطونيوفقد مركباً
 سالارينو : عسى أن تقف خسارته عند هذا الحد بإذن الله
 سالانيو : أبادر بالتأمين مخافة أن يعارض الشيطان هذا الدعاء ،
 ولا سيما وما هو ذا الشيطان بنفسه قادم إلينا في زى يهودى
 « يدخل شيلوخ »

سالانيو : « متسأ » شيلوخ ! ما أخبار التجارة في مصفق الريلتو ؟
 شيلوخ : أنت أعلم من علم بفرار ابنتي
 سالارينو : لا جرم أنها فرت ، وأنا أعرف الخياط الذى صنع لها
 ما طارت به من الأجنحة
 سالانيو : وشيلوخ كان يعلم أيضاً أن للطائر ريشاً ، وأن العصافير متى
 راهقت سنناً معلومة ، فارقت وكر أبويها
 شيلوخ : لتهلك بما خطئت

سالارينو : لا محالة أنها هالكة إذا كان الشيطان قاضياً
 شيلوخ : يشوربى دى ولحمى
 سالارينو : أف لك من فاسق مزمن ، أفى هذه السن تخطر لك
 الشهوات ؟ !

شيلوخ : أعنى ابنتى ، وهى لحمى ودى

سالارينو: بين بدنك وبدنها من الفرق ما بين السبع والعاج ،
وبين دمك ودمها من البون مثل ما يختلف النبيذ الأحمر
عن النبيذ الأبيض . لكن أنت مخبرنا : أعلمت أن أنطونيو
أصيب بخسارة في مشحوناته بجرأ

شيلوخ : وهذه مسألة لم تكن لي رابحة . مفلس مسرف لا يجرؤ أن
يتراءى في الريلتو - بائس . . . كان يجيء المصنف متبخراً
حذار أن يتأخر عن الوفاء في صكه . كان يدعو مرابياً .
لإياه أن يغفل ميعاد خطه . كان يقرض النقود لإقراض
نصارى على سبيل الإحسان . ليخش أن يبطئ عن أداء
ما عليه في حينه

سالارينو: ما أظنك إن تأخر عن إعطائك المال تتقاضى بضعة من
لحمه . أتفيدك في شيء ؟

شيلوخ : تفيدني في إعداد طعم للسماك ! ألا يكفي أن أستخدمها
في شفاء غليلي ، والانتقام لنفسى . هو الذى جلب على
التحقير والإزراء ، وحال دون اكتسابي نصف مليون فوق
ما اخترت . سخر من خساراتى ، وهزئ من أرباحى وسب
قوى ، وعارض أعمالى ، ونفر منى أصدقائى ، واهتاج
أعدائى . ولِمَ كل هذا ؟ لأننى يهودى . أليس لليهودى
عينان ؟ أليس لليهودى يدان وأعضاء وجسم وحواس

ومودات وشهوات ؟ أليس غذاؤه مما يتغذى به النصارى ؟
 أليست الآلة التى تجرح أحدهما تجرح الآخر ؟ أليس العلاج
 الذى يشفى ذاك يشفى هذا ؟ أليس الشتاء والصيف واحداً
 لكليهما ؟ ألسنا إذا ونحزتمونا ننزفُ دماً ، وإذا دغدغتمونا
 نضحك ، وإذا سقيتمونا السم نمرت ، وإذا آذيتمونا
 نتقم ؟ فنحن نشبهكم بهذا كما تشبهكم بكل ما سواه .
 أما جزاء اليهودى الذى يضر بمسيحي أن يثار منه ؟ إذن
 فليهودى وقد اتسبى بأسوة النصارى أن يثار منهم إن أضروا به
 سأعاملكم بمثل الشدة التى تعاملونى بها أو أزيد

« يدسل خادم »

الخادم : أيها السيدان ! مولاي أنطونيو يبتغى لقاء كما وهو الآن فى
 داره

سالارينو: نحن فى البحث عنه منذ هنيهة

« يدخل طوبال »

سالانيو : ما أشبهه الليلة بالبارحة ، ومن توخى ثالثاً هلاكين اليهوديين
 الآخرين لم يجده إلا أن يتهود الشيطان

« يخرج سالارينو وسالانيو والخادم »

شيلوخ : ما وراءك يا طوبال ؟ أوجدت ابنتى فى جنوا ؟

طوبال : خوطبت عنها في أماكن جمّة ، ولكنني لم أتوصل إلى عرفان موضعها

شيلوخ : يا للخسران ! اختلست مني الماسة بيعت على في فرانكفورت بألني دوق ، الآن قد طفقت اللعنة تحمل على أمتنا حلولا لم أشعر به من قبل : ألفا دوق فقدتها عدا مصوغات آخر غالية ، وأى غلاء . من لي بابنتي مينة عند قدي والألماستان في أذنيها ؟ من لي بها ممدودة هنا أمامي على وشك أن تحمل في نعش وتحمل معها الدوقيات ؟ عجبا أما من نأ عنها — هكذا — ويعلم الله كل ما سأنتفه حتى أجد تلك الضالة خسارة فوق خسارة : كلنا للشارق وكلنا للباحث عنه . ثم لا ترضية ولا انتقام ، كل الرزايا تنصب على رأسى وحدى ، فلا زفرة إلا ما تصعبه أنفاسى ولا عبرة إلا ما تصوبه عيناي طوبال : لست فلدا في تعرضك للنواب ، فقد علمت في جنوا أن أنطونيو

شيلوخ : ما تقول ؟ ويل ويل . . .

طوبال : فقد سفينة من سفنه قادمة من طرابلس

شيلوخ : حمداً لله ، حمداً لله ، أيقين ؟ أيقين ؟

طوبال : كلمت نواتية نجوا من العرق

شيلوخ : وحمداً لك يا صديقي طوبال . نعمت الأخبار ، نعمت

الأخبار . أين ؟ في جنوا ؟

طوبال : سمعت أن كرمك أنفقت ثمانين دوقياً في ليلة واحدة يجنوا
شيلوخ : تطعني بخنجر في قلبي . لن يعود إلى ذهبي ، ثمانون
دوقياً صبرة واحدة . ثمانون دوقياً ؟

طوبال : في رجوعي إلى البندقية تسقطت من أقوال بعض الدين يدينون
أنطونيو أنه لا بد له من التفليس

شيلوخ : يافرحاً بما قالوا ! سأعده . سأنكل به . . . يا للسرور !
طوبال : أراي أحدهم خاتماً نفخته كرمك به لتحلية قرْد أعجبها
شيلوخ : ويحها من ناعسة ! تقتلني يا طوبال ! تلك زهرجلى
التي اشتريتها من ليحا أيام عزوبتي ، ولو أعطيت بها
فرقة من القردة لما أعطيتها

طوبال : لكنه ثابت أن أنطونيو قد خرب

شيلوخ : نعم . هذا يقين كل اليقين . اذهب يا طوبال ، أوجد
لى سجيناً يجعله تحت تصرفي ، قبل حلول الأجل
بأسبوعين . فإن لم يؤد ما عليه لم يكن لى بد من تمزيق قلبه ،
ومتى خلت منه البندقية ، فنى وسعى أن أفعل فيها ما أشاء .
اذهب . اذهب طوبال . ثم ألحق بى فى الكنيس . بشار
يا طوبال

« يفرجان »

المنظر الثاني

بلمنت — مزارعة في قصر برسيا — الصناديق مكشوفة

« يدخل باسانيو و برسيا وأتباعهما وغراتيانو و فرسا »

برسيا : أبتهل إليك ألا تتمجل . تريث يوماً أو يومين قبل الاقتراع ،
فلماذا ساءت خبيرتُك ، لم يفتنا أنسك وعشرتُك . رويدك
رويدك . في قلبي شيء . وهذا الشيء ليس بالغرام — يوحى
إليّ أن فقدك مساءةً لي . على أن مثل هذا الوحي لا يجيء
من البغضاء . ولأزيدك مكاشفة بما في ضميري ، دع أن
الأجدر بالفتاة ألا يكون لها من اللسان إلا فكرها ، أقول
إنني أتمنى استبقائك ههنا شهراً أو شهرين قبل المخاطرة
بمستقبلك من أجل . وقد يجيش بي أن أعلمك كيف تحسن
الخير ، لكنني إذ أن أكون حائرة ، ومعاذ الله أن أكونها أبداً .
إلا أنني لو لم أرشدك وتعذر عليك الفوز بي ، لاشتد أسنى ،
من كوني لم أحث . ويحي ! إن عينيك نظرتاني فقسمتاني
إلى شطرين : شطرك و شطرك ! كان ينبغي أن أقول
— لي — في الثانية لكن سبق لساني ، لأنني لك وما بقي لي

فهو إذن لك . يا للقضاء الجائر أقام حاجزاً بين المالك ومملكه
فأنا لك ، ولكننى ربما لا أكون لك . فإذا جرى الحكم على
هذا فلا وقعت التبعة إلا على مصدر الحكم لا على . أفرطت
فى الثروة ، ولكن لا لإضاعة الوقت بل لإطالته بتأخير اقتراعك

باسانيو : دعينى أختبر فى فى أشد العذاب

برسيا : فى أشد العذاب يا باسانيو ، فلا بد من خيانة تحت هواك ،
والأولى أن تقرّ بها

باسانيو : لا خيانة ، ولكن خشيةً فقدى من أهواه ، وقد يكون أيسر
أن تأتلف النار والثلج من أن تأتلف الخيانة وحجى

برسيا : سوى أننى أخشى أن يكون كلامك لإكراهياً أشبه بما يجريه
الآلم على الألسنة قسراً

باسانيو : عدينى بالحياة أعترف لك بالحقيقة

برسيا : اعترف وعش

باسانيو : كان يجب أن تقولى ، أقرر وأحبب ، لأن إقرارى لا يزيد
عن معنى هاتين اللفظتين ، ما أعذب ذلك العذاب الذى
يعلمنى مسببه كيف أنجو منه . لكن دعينى أعرف بخفى
بين هذه الصناديق

برسيا : إلهيا ، وأعانك الله . إنى فى أحدها ، فإن كنت لى

عجباً اهتديت إلى - « إلى الجميع » أى نريسا ، أى هؤلاء جميعاً ، تنحوا قليلاً - لتعزف الموسيقى مدة خبرته ، فإن خسر كانت نهاية هوانا فى النغم ، كنهاية ذلك الطائر العوام الذى لا يجيد فى حياته إلا صوتاً يتغنى به قبيل وفاته . ولأنهم الشبه أجعل عندئذ عيونى الماء الصافى الذى يقضى فيه ذلك الهوى نجبه . أما إذا كسب فكيف يكون النغم إذن ؟ ليكون نفخاً فى الأصوار بعيد الصدى ، كما يكون حين تجثو الرعية المخلصة لدى ملكها المتوج حديثاً ، أو كذلك اللحن الشجى الذى يشدوه السعد فى أذن الخطيب صباح اليوم الذى تتحقق فيه أحلامه ، ويتأهب لعقد القران على عتبة الهيكل . ها هو ذا يتقدم بأقل جلالة ولكن بأكثر غراماً من الفتى الشجاع « السيد » حين أنقذ البتول التى قربتها قبيلة طروادة باكية متحبة للوحش البحرى . على أننى أشبه بتلك الفتاة المقدمة للتضحية : أجد الدين حولى مستعدين كالطرواديين يتوقعون الختام وأقول : أما ما يا هرقل ، عش فأعيش - أنا شاهدة القتال سوى أننى أشد تأثراً . نلك يا من يقدم عليه

صوت ينشد :

أين مكان الهوى ومنبتُه
في العقل أم في الفؤاد مولده
ومن مباء به الجلال فقد
دال من المالكين أيّده

آخر ينشد :

تلك العيون السواهي
للحب من مهود
إن يسقيه اللحظ نارا
قضى وهن اللحد

الجمع ينشد :

ليتهف هتاف الأسى
ويسمع نواح الأسف
يخف صريع المني
ويودي سريع الشغف

باسانيو: نعم يقرب من الاحتمال أن أبهج غلاف بظاهره يحتوى على
أشنع شيء . هكذا تخدعنا زينات الناس في الغالب من
الأمر . أتوجد في القضاء دعوى سيئة لا يتولى الدفاع فيها
منطيق مقنع يغطي معاييبها بتأثير فصاحته ؟ أيرجد في العقائد
خطأ مهلك لا يجهد أحد المتنطسين العابسين أن يحلله
بنصوص قاطعة ويخبأ ما به من السم تحت أزهار يزينه بها ؟
هل في المثالب واحدة لا تلبس لدى الإبصار بعض ملابس
الحامد ؟ كم من جبان لا تختلف شجاعته عن مدرة
من الرمل ولكنه يغشى ذقنه بمثل لحية هرقل الصنديد أو
لحية المريخ العنيد . لو استشفت بواطن هؤلاء الرعايد
لوجدت أكبادهم بيضاء كاللبن ، سوى أنهم سرقوا تلك
الإمارات المهيبة ليداجوا بالبطش والبأس . انظروا إلى
الجمال تجددوا جواذبه مجلوبة من حانوت التاجر ؛ ومن غريب
ما تحدثه الطبيعة في هذا الباب أن أكثر النساء حمولة من
الحاسن المستعارة ، هن اللواتي لا يطول الزمن بزيناتهن !
فلذا رأينا عند بعضهن ذلك الشعر الذهبي الذي تتلوى صفائره
تلوى الثعابين ، وتتجارى بين غدائره لواعب النسمة لم
يكن إلا زخرفاً باطلا ورثه الرأس المتباهى به عن رأس
أصبح بالياً في القبور . فالتبرج إذن ليس إلا زينة الشاطئ

الذى يترك منه إلى البحر الزاخر بالأخطار ، أو هو الشف
 اللامع ، الذى تحتجب وراءه هجئة هندية . أو هو
 ما تتركه الخيلة من مشابهة الحقيقة لتأخذ الحكيم فى أشراكها .
 لهذا أنبلك أيها الذهب البراق طعام ميداس ، كما أنى
 أنبلك أيتها الفضة فإنما أنت ذلك المعدن الشاحب
 والأداة المتبلدة فى التداول . بين الناس .. أما أنت أيها
 الرصاص المستخس الذى لا يغش العيون ، والذى تغرى
 سلاخته الصامته أشد من إغراء الفصاحة ، فإنك اختار لعلك
 تكون نجبا سعدى ، ومبعث هنأى .

برسيا : أرى كل العوامل قد تبددت فى الهواء من هم مقلق ،
 وخوف مؤرق ويأس ليس بإحدى الراحتين ، وغيره غضرة
 العين ، خاشاك أيها الغرام الذى استبلى قواها ، واستبى .
 حماها ، فبحقك إلا ما ترفقت بي ؟ وتلطفت لى ، وخففت
 من غلوائك ، وهدأت من سورة سرائك ، فقد خشيت أن
 ينوء بحملك قلبى ، ويقضى بفضلك نحي

باسانيو : « فاجأ سينق الرصاص » - ماذا أرى ؟ أرسم برسيا ؟
 أى ملك تنزل من سمائه فتجلى فى هذه الصورة الإنسية ؟
 يا عجباً لهاتين الخلفتين ؟ أهما تتحركان أم أنا واهم ؟
 يا عجباً لهذا الثغر ! لم تكد شفتاه الرقيقتان تفرقان على
 تاجر البهنية

ما بينهما من الهوى إلا لتأذنا أَرَجَ الأنفاس بتعطير الهواء .
يا عجباً لذلك الشعر ! كأن أمهر الرسامين عندما نظمه
قد حاك من خيوطه الذهبية حباله تؤخذ بها القلوب ، كما
تؤخذ دقاق الهوام بنسج العنكبوت . ولكن البدع كل البدع
في العينين ، كيف استطاع ذلك المصور أن يخلق
فيهما ليحسن تمثيلهما ؟ أما الكمال فانظروه في الأصل لافي
النقل . وما أبعد ربة الجمال عن أن يضارعهما الخيال . فلا تمتع
الآن طرفي بما كتبه الحظ في هذا القرطاس من آيات
سعدى : « اقرأ »

يا من رأى باطلاً فر به
ولم يزغ في طلائه نظره
يهتلك العقل لم يصل به
مغويه والسعد راجحاً خطره
لئن تكن قد حظيت بعد جوى
كما يصيب الجزاء متظره
قبل محيا العروس مختبئاً
فالعمر قد طاب والمنى ثمره

حبذا هذه الأقوال الشائقة . إذنا أيتها السيدة « يقبلها »
 أتيت وهذه الورقة في يدي - لأقبل وأقبل مشبهاً بذلك
 صاحب الفوز في الصراع المشهود . فهو إذا سمع تصفيق
 المتعجبين ، وتهليل المعجبين ، جمده مكانه ونظر حواله
 مرتباً فيما إذا كان ذلك التمداح موجهاً إليه . وما موقفي هذا
 إلا كرقفه ذاك ، أكاد أرتاب فيما أرى وأرغب لتصديق
 ما جرى أن نجيبني إلى ما قدمت وثبتني وتحقق ما اغتمنت

برسيا :

أيها الهمام باسانيو ها أنا ذى لديك كما أنا ، ولولا
 أمر جدته في نفسي لاجتزأت بالنعم التي منحتها ولم
 أستزد . لكنني غدوت متمنية من أجلك لو رجحت ستين
 مرة على ما أعادل اليوم ، ولو كنت ألف مرة أجمل ،
 وعشرة آلاف مرة أوسع جاهاً . فتكبر حظوقي في عينيك ،
 ولو كان لي من الفضائل والمحاسن والأموال والأصحاب عداد
 لا تنفد . إلا أنني ولا فخر غير خالية من شيء بقدر بقدر
 فإنما أمامك فتاة معصر نقية غرة . تعتد من لطف
 العناية بها كونها لم تزل لدنة صالحة للتقويم . ومن سعد
 طالعتها أنها ليست من الجهل بحيث تستعصى على التعليم ،
 ومن تمام نعمائها أن عقلها طيع يدعوها إلى اللقاء زمامها عن
 رضى بين يديك ، والإقرار عن خضوع بآنك سيدها ،

وأمرها. ، ومليکہا .. فأنا وكل ما لي قد أصبحنا لك اليوم :
 كان قبل هذا القصر المشيد قصري ، وكنت مولاة خدي
 وحشمي ، وكان بيدي قياد نفسي . أما الآن فالدار
 والتبع والمتبوعة في تصريف بنائك يا ولي أمري . وهبتك أولئك
 جميعاً . وأزيدك هذا الخاتم الذي أوصيك بحفظه ، وبأن
 تحرص كل الحرص من إضاعته ، أو فقده ، أو مفارقتها ،
 فإن ذلك ليندرفي بتحول قلبك عني ، ويحولني حق الشكاية
 منك

باسانيو : لقد أعجزتني يا سيدتي عن التفوه بلفظة واحدة ، فما في
 من متكلم إلا دى الذي يجيش في عروقي ، وأشعر
 باضطراب في أفكاري أشبه بغوغاء الجمهور إذا ألقى عليهم
 أمير كريم ، كلمات محبته ، فاحتلطات عواطفهم في
 إحساس واحد اجتمعت عليه كل تلك النفوس : إحساس
 الفرح بين صامت ، أو صائت ، فاعلمى أن حياتي
 تفارقتي قبل أن يفارق هذا الخاتم أصبعي ، وإذ ذاك لك أن
 تقول : « مات باسانيو »

نريسا : إن سعد كما هذا لسعد طالما تمنيناه ، فأجيزا لنا يا سيدتي رفع
 تهنتنا إليكما : ضفءاً وهناءً .

غراتيانو : يا سيدتي باسانيو ويا سيدتي ١ أدمو لكما بما تشتهيان

من صنوف النعم ، وثقاً من أن آمالكما لن تهادى
إلى الإضرار بتحقيق أمانى ، وعلى ههنا أستاذكما
بأن يكون عقد قرانى فى نفس اليوم الذى ستعيانه
لعقد قرانكما

باسانيو : إذا وجدت الحليلة فلما لتأذن بارتياح
غراتيانو : لقد ظفرت ، ولك الشكر يا سيدى ، بالى أرغب
فيها ، فإن عيني لا تقلان فراسة عن عينك ، وقد لمحت
التابعة ، كلمحك المتبوعة ، فأحببت كما أحببت
وشبيت كما شبيت ، وكما كان حظك منوطاً بهذه الصناديق
كان حظى منوطاً بنجاحك ، إذ أنى بعد تجشمى عرق
القرية لاستمالة هذه الغانية ، ولإجحاى صوفى فى الإقسام لها
على صدق غرامى لم أفر منها إلا بوعده وهو أنها تقترن بى إذا
أنت وفقت للاقتران بمولاتها

برسيا : أكدا جرى يا نريسا ؟
نريسا : نعم يا سيلقى ، إن كان فيه رضاك
باسانيو : أجد ما تقول يا غراتيانو ؟
غراتيانو : جد فى النهاية يا سنيور
باسانيو : نعد من متممات فرحنا أن يقام عرسنا وعرسكما فى آن
غراتيانو : « نريسا » — لراهن بعشرة آلاف دوق على من من

فريقنا يبحى بأول ولد . أسمع قلوب أناس . . . هنا لورنزو
وكافرتة ، وهذا صديقي القديم سالريو البندق
« يدخل لورنزو وجسيكا وسالريو » .

باسانيو : لورنزو وسالريو ا مرحباً بكما ، إن كان يسوغ لي على
حادثة عهدي هنا أن أحتق بمواطني وأصدقائي . أتأذنين لي
يا برسيا بالخميلة أن أرحب بهم ؟

برسيا : لقد لقوا أهلاً ، ونزلوا سهلاً

لورنزو : حمداً لك يا مولاتي . أما أنا يا سيدي فلم يكن مقصدي
هذا القصر ، لكنني صادفت سالريو في الطريق ،
فلج حتى أوجب مجيئي معه

سالريو : هنا ما حدث يا سيدي ، وكان لذلك عندي سبب .
إليك كتاباً من السنيور أنطونيو . حملني إياه وأوصاني أن
أذكره لديك « يعطيه الكتاب »

باسانيو : « قبل نفس الكتاب » كيف صديقي الأعز ؟

سالريو : ليس بمريض ولا بعمافي ، إلا أن تكون الصحة أو العلة في
الروح لا في الجسم ، ولكنك ستعلم من رسالته حقيقة حالته

غراتيانو : « مشيراً إلى جسيكا » نريسا ، أكرمي وفادة هذه الأجنبية
واحتقي بها . يدك يا سالريو . أي جديد في البندقية ؟

كيف أنطوليو أمير التجار وكيف أعماله ؟ أنا موقن
أنه سيفرح لأفراحنا . نحن من آل جازون قد غنمنا
الجوازة الذهبية

سالريو : ليتكم كسبتم ما خسر

برسيا : لا بد أن تكون في هذا الكتاب أنباء رائعات ، فقد امتنع
وجه باسانيو ، وما يغير وجه الرجل الكريم مثل هذا التغيير
السريع إلا أن يفقد صديقاً من أصدق أصفياه تهون في جنب
رزته فوادح الأرزاء . عجباً ! أرى ازدياداً في أسفه—إيلن
يا باسانيو : إني شطر منك الآن ، وأطلب بقوة حصني
من مضمون هذه الرسالة كائنًا ما كان

باسانيو : يا حبيبتي برسيا ! لم تسود الصحف في يوم من الأيام
بمثل ما سودت به هذه الصحيفة من السطور المشؤومة .
عندما فانتحتك بغرامى لأول عهدنا ، أقررت لك بأن ما بقي
من ثروتي لم يكن إلا الدم الجارى في عروقي : دم ماجد
شريف . على أننى أيتها الصفية الرقيقة ، مع صدقى بإبلاخك
أننى لم أكن شيئاً مذكوراً ، قد غاليت فقومت نفسى ، بما
يفرق قيمتها كثيراً ، وكان الأجدري أن أصارحك بأننى
أقل من لا شيء : ذلك لأننى استخدمت ضمان صديق
عزيز للحصول على مال أقضى به حاجاتى ، فعرضته

بللك لألد أعدائه وأشد مبغضيه . هذا كتاب ياسين
درّجه جسم صاحبي ، وكل كلمة في الدرّج جرح ثخين
في الجسم يتدفق منه الدم وتندفع في أثره الحياة . ولكن أحق
ياسالريو أن كل تلك المواسق نكبت ؟ عجباً ! ألم ينبج
واحد منها ؟ أو لم تبصل سفينة فلة من تلك السفائن العائدة
من « طرابلس » أو « المكسيك » أو « إنجلترا » أو « لشبونة »
أو « الهند » بلا استثناء ؟ أكلها أبادته الصخور ، وألقت به
في أعماق البحور ؟

سالريو : . كلها باد بلا استثناء . وما يزيد الشجن أن اليهودي ،
فما ظهر منه وتحقق ، يأبى المال لورد إليه الآن . ذاك
مخلوق ، على كونه في شكل إنسان ، ما رأيت في غابر
أيام أشدّ منه تكالباً للتكليل بخصمه ، فهو من الصباح
إلى المساء لاحق بالدوج ملح أو ملحف يتقاضى شرطه
مجاهرياً لا يبقى للعدل في الحكومة معنى . إذا لم يكن على استيفاء
حقه ، وقد خاطبه عشرون من التجار كما خاطبه اللوج نفسه ،
والملاّ الأكرمون من الأعيان ليعتدل في أربه ، ويعتدل عن
طلبه فأبى مصرّاً ، ولم يتمكنوا من تبليين قلبه الخافى الملىء
بالضغن .

جسيكا : عندما كنت معه سمعته بحضرة طوبال يهيمس لمشايخه في

الدين يقول : إنه يؤثر البضعة من لحم أنطونيوس على عشرين ضعفاً للقدر الذى أقرضه إياه ، وأنا متحقة من أن أنطونيوس المسكين إذا لم يوازره القبايون أو أولياء الحل والعقد لم يفلت من مخالب الخطر .

برسيا : أذلك الرجل الواقع فى هذه الأزمة الشديدة حبيب إليك ، عزيز عليك

باسانيو : هو أصنى إخوانى وأوفى أنخدافى ، هو فى الرجال الأشهم الأجد ، الأكرم الأعود ، هو الإنسان الذى تتراعى فيه الروح الرومانية أصنى ما كانت ، وأنى ما هى كائنة فى نفس إنسان من بنى إيطاليا

برسيا : ما الذى عليه لليهودى ؟

باسانيو : عليه له ثلاثة آلاف دوق أخلقتها أنا

برسيا : أهذا كل المقدار ؟ اردد إليه ستة آلاف ، وليمزق ذلك الخط . ضاعف له هذا الزهاء ، أو أعطه ثلاثة أمثاله حرصاً على شجرة من رأس صديق كهذا أن تضيق لأجله باسانيو . اصحبى بعد هنية إلى الكنيسة لتتخلنى عروساً لك . ثم اذهب من فورك إلى البندقية لإسعاف صاحبك ، إذ أن برسيا لا ترضى لإقامتك بجانبها ونفسك قلقة ، وأما مبلغ من الذهب يجب لإيقاف ذلك الدين الصغير ، حتى

لو أُرْبِي على أصله عشرين ضعفاً ، حمل إليك بلا إبطاء
 فإذا قضيت هذا الحق عدت بصاحبك لتأتنس به ،
 وفي خلال هذه المدة سأعيش أنا ونريسا عيشة بتولين وأيممين .
 هلم بنا ، وإذا كان قد تحتم عليك هذا السفر في يوم عرسك
 فلا يصددك ذلك عن المشاشة لإخوانك ، ولا يروا منك إلا
 وجهاً ضحوكاً . سأغلى قدرك بنسبة ما قد أغليت مهرك ،
 ولكن فانتك أن تسمعنا شيئاً مما كتبه صاحبك

: « قارأ » : « صديقي باسانيو . ارتطمت جميع مراكمي ،
 وأصبح الدائنون لي بلا شفقة . شؤون تجارتي في درك
 الانحطاط ، ولم يتسن لي افتكاك نفسي من حق اليهودي في
 الأجل المضروب ولما كنت لا أستطيع التحرر مما علي إلا أن
 أفتدى الدين بحياتي ، عولت على ذلك مبرئاً ذمتك من كل
 ما تسلفته مني ، راجياً أن أراك قبل وفاتي ، وما أكلفك الهجيء
 إلا تبعاً للتيسير ، وعلى أن يكون باعته وحى الصداقة إليك
 لا تثقيل هذا الكتاب عليك »

برسيا : أي حبيبي ! تجهز عاجلاً ، وسر
 باسانيو : أما وقد أذنتني بالسفر فإني لمبادر ، ولن آوي إلى مضجع أو
 ألتمس شيئاً من الراحة فيعوقني أدنى عرق عن سرعة الرجوع
 « يخرجون جميعاً إلا برسيا ونريسا وبلتزار »

المشهد الثالث

للبنديقية — جادة

« يدخل شيلوخ ، سالانيو ، أنطونيو ، سجان »

شيلوخ : سجان ، احرص عليه . لا تلتبس منى رحمة — هذا هو الأبله الذى كان يقرض النقود احتساباً . سجان ، إياك أن يفلت

أنطونيو : تفضل بالصغر إلى أيها السميع شيلوخ
شيلوخ : أتقاضى حقى ولا أريد أن أسمع كلاماً فى هذا المعنى أقسمت إلا ما تنجزت حقى . لقد كنت تدعوقى كلباً يلا ذنب منى ، فإن كنت الكلب الذى تصفه فاصبر لنكز أنيابى . سينصفنى الدوج . من العجب أيها السجان البليد أنك تلين له هذه الليونة ، وتخرجه من معتقله إجابة للتمسه
أنطونيو : أتوسل إليك أن ترعبنى سمحك

شيلوخ : أطلب حقى ولا أرعيك سمعى ، حسبك ضراعة لا تفيد : لست من أولئك الأغبياء الذين إذا استعطفوا هزوا رؤوسهم ، ونفسوا كبريهم بتصعيد أنفاسهم ، ثم أجابوا النصارى إلى

رغائبهم . دع متابعتي . لن أسمع لك إنما أتناقضي حتى « يخرج »
 سالانيو : لم يرضا الناس ومعاملاتهم بأظلم من هذا الضاري
 أنطونيو : عدّ عنه . حسبي لحاقاً به وتضرعاً إليه بغير جدوى .
 يعني حياتي وأعرف السبب في ذلك : فهو ينتقم للإنقاذ من
 مخالفه غير واحد من المقرضين الذين استعانوا في عده ، وهذا
 سرّ بغضائه

سالانيو : يقيني أن الدوج لا يأذن بإنقاذ تعهد كهذا
 أنطونيو : لا يستطيع الدوج منع القانون من البحري مجراه ، فإذا
 أرايت الحكومة في تأويله أساء الأجانب ظنهم بعلما ،
 وخشوا على الامتيازات المخولة لهم ، فكان في ذلك خطر على
 مدينة كاليندقية قوام ثروتها تجارتها مع الأمم الأخرى .
 لننصرف . إن أحزاني ومصائبي قد شفتني حتى لا أعلم إن
 كانت قد أثبت لليهودي القدر الذي سيتقاضاه غداً من
 لحمي . سري أيها السجان . سري . عسى الله أن يرسل
 إليّ ياسانيم فأراه ، ويراني وأفيأ دينه ، فأموت عندئذ راضياً
 « يخرجان »

المشهد الرابع

بلمنت - مزارعة في قصر برسيا

« تدخل برسيا وبريسا ولورنزو وجيبيكة وبيترار »

لورنزو : أجزؤ أن أقول بحضورك إن رأيتك في الصداقة الخالصة رأى صادق شريف ، وإنك قد أيدته بتحملك فراق زوجك في مثل هذا اليوم ، ولكنك لو عرفت من الرجل الذي تسدينه هذا المعروف ، وما شرفه ، وما مودته لقرينك ، لكنت أشد افتخاراً بهذه المنة منك بأية منة أوليتها من قبل

برسيا : لم أنلم مرة على الإحسان . فما أبعدني الآن عن النعم ، ولا سيما أن صاحبين إذا طال تعاشرهما ، واختلاطهما تألف قلباهما وتوائمت نفساهما بعري الصداقة ، فلا بد من تشابه بينهما في الخلق ، أو الخلق ، ومن ثم اعتقدت أن أنطونيو هذا لا بد أن يكون على شاكله زوجي ، بسبب ما بينهما من متين العلاقة ، فالثمن الذي اشتريت به من القسوة الجهنمية ذلك الصديق الخلق على مثال زوجي لا يكون إلا بخساً لكن أراي استدرجت إلى ما يشبه التمدج ، فلتحول عن

هنا المعرض إلى معرض آخر . يا لورنزو أرغب إليك في
تولى إدارة بيتي إلى أن يعودَ بعل ، أما أنا فقد نكّرتُ لله
سرّاً أن أعيش في النسك ، والدعاء . والاعتزال ، إلا عن
نريسا إلى أن يرجع بعلانا ، وسنقيم في دير قريب لا يبعد
إلا ميلين عن هذا المكان ، فرجائي ألا تمتنع من إجابة هذا
الطلب على ما تقتضيه المودة وأسباب غيرها أيّدات

لورنزو : أوافق على ما تريدونه يا سيدتي بكل قلبي وما أطوعني
لأمرك في كل أمر مشروع

برسيا : سأمر أتباعي أن يكونوا منذ الساعة رهن إشارتك كأنك
باسانيو ، ورهن إشارة جسيكا كأنها أنا . أستودعكما الله
في صحة ونعمة إلى أن نلتقي

لورنزو : منحك الله صفاء البال وصفاء الوقت

جسيكا : أرجو لك ياسيدتي قرّة العين ومسرّة الفؤاد

برسيا : أدعوككما بمثل ما دعوتما لي . أراك بخير يا جسيكا

« نخرج جسيكا ولورنزو »

برسيا : « حسنة » : إليك خطابي الآن يا بلنزار ، أود لو وجدتك

اليوم على ما عهدته فيك من الوفاء والمضاء في الامتثال .
فاحمل رسالتى هذه بأسرع ما استطاع إلى مدينة بادوا ،

إلى ابن عمي الدكتور بلاريو ، فإذا أسلمته إياها يبدأ بيد ،
فتسلم منه الأوراق والملابس التي يعطيها ، وحيء بها كلمح
الطرف إلى مرسى السفينة التي تجول عادة بين القارة
والبندقية . لا تضع وقتاً في الكلام ، بل سافر وسأسبق إلى
الموعد

بليزار : سيدتي سأبادر جهد المبادرة « يفرج »
برسيا : تقدي نريسا ، أنا عازمة على أمور ما زلت تجهلونها فاعلمي
أنا سنلقى زوجينا قبل الوقت الذي يظنان
نريسا : وهل يبصرانا ؟

برسيا : بلا ريب يانريسا ، ولكن في زى يوم أنا غير منقوصتين
ما نقصته أجسام النساء : بمعنى أننا متى لبسنا لبس
الفارسين الشارحين راهتلك على ما تشائين ، لأنى سأقلد
خنجرى بلباقة لا يستطيعها الرجل ، وسترين كيف أرقق
حيثل صوتى فأجعله ناعماً كصوت الغلام المراهق ، وكيف
أحول هذه المشية الحوية إلى مشية الذكر المتباهى ، وكيف
أتكلم عن مشاجراتي تكلم يافع جميل فخور ، وكيف أستدر
الأكاذيب من حاضر الدهن فأحسن قصصها ذاكراً العقائل
العفيفات اللاتي افتتن بحبي ، والخرائد المصنوعات اللاتي
مرضن أو متن من جفائي إذ لم يكن في وسعي أن أكفهن

« مبدئياً أسنى على اللواتى قضين نحبهن من أجلى ،
فى تفصيل أمثال هذه الغرائب ، والعجائب حتى
الرجال الذين يستمعون منى تلك الأقوال أننى لم أفارق
المدرسة إلا لعام أو بعض عام خلا »

نريسا : على هذا سنقضى حيناً فى محالطة الرجال
برسيا : أف منك وبش السؤال . لو كان هنا أجنبي لأساء
الظن بظاهرة نيتنا . هلمى بنا إلى الكنيسة لإتمام العقد ، ثم
أشرح لك مقصدى فى الطريق ، وإن أماننا لمسيرة عشرين
ميلاً . البدار ، البدار « تفرجان »

المشهد الخامس

المكان عيته — حديقة

« يدخل نسلو وجيسكا »

نسلو : نعم ، والحق ما أقول : ذلك أن خطايا الوالد تقع على
الولد ، ولهذا أخبرك عن يقين أننى أخاف عليك جداً
الخراب . وقد جرت عادتى أن أصارحك بفكرى . كل فكرى ،
فأنت على علم لا ريب فيه أنك هالكة النفس ، وليس بياق

لك سوى رجاء غير جدير بالذكر ، رجاء لقيط

جسيكا : وأى رجاء هو؟ أنفصح عنه ولك التفضل ؟

لنسلو : هو : أن تأملى أنك لست من صلب أبيك ، أى أنك لست ابنة اليهودى

جسيكا : عندئذ يكون رجائى لقيطاً كما ذكرت ، وإذن تعلق بى تبعات خطايا والدتى

لنسلو : أنا — وما أحدثك ، إلا بالصدق — أخشى أن تكونى هالكة من جهة الأب ومن جهة الأم معاً ، فإذا أردت لك النجاة من ناحية الصخر : أبيك ، وقعت بك فى ناحية الهوة : أملك . فأنت بتمام الراحة . . . هالكة من هنا ومن هناك

جسيكا : ولكن يخلصنى زوجى الذى جعلنى نصرانية

لنسلو : إنه بلحدير باليوم المضاعف على فعله هذا ! لقد كنا نحن النصارى أكثر عدداً مما تقتضى الحال ، وكنا بحيث لا يكاد الواحد منا يكتفى أخاه . فهذا التهاافت على الاستكثار من المسيحيين سيفلى أثمان الخنازير . وإذا أصبح الناس جميعاً أكلة خنازير فلسوف يأتى وقت لا يتسنى لأحد فيه أن يحصل على كبريات

« يدخل لورينزو »

جسيكا : لنسلو سأبوح لزوجى بكل ماقلت لى . ذكرته وها هو ذا
لورنزو : أتعرف بالنسلو أننى قد قاربت أن أغار منك لفرط ما تتوالى
محادثاتك لامرأتى على الأفراد

جسيكا : كن آمناً من هذا القبيل يا لورنزو ، إن لنسلو الحصيمى
اليوم ، فقد قال لى بلا محاملة أن لا رحمة لى فى السماء لأننى
ابنة يهودى ، ويزعم أيضاً أنك سبب الوطنى لأنك بتحويلك
يهوداً لى نصارى تغلى ثمن الخنازير

لورنزو : سيكون أسهل على أن أبرأ من هذا اللذب لدى مواطنى مما
يسهل عليك أن تبرأ من أحبالك جارية سوداء

لنسلو : يحتمل أن لا تكون البخارية السوداء على الحالة التى ينبغى
أن تكون عليها ، ولكنها إذا كانت قد نقصت شيئاً عما
يجب أن تكون المرأة العفيفة فقد زادت شيئاً على ما كان
عهدى بها

لورنزو : ما أيسر لعب الحمقى بالألفاظ ! أظن أنه لا يمضى
زمن حتى يصير السكوت هو العقل ، والكلام هو ما يليق
بالبيغاوات . اذهب أيها الهزأة وقل لحشمتنا أن يتأهبوا للعشاء
لنسلو : المائدة ستهياً والأطعمة ستوضع ، وأما أن تذهب لتناول الطعام
فهذه مسألة أدد لك حلها كما ترى

لورنزو : ما أعجب هذا الإدراك ، وما أغرب ! تصفيف هذه العبارات بهذه البراعة ! هذا الأبله قد جمع في ذهنه جيشاً من النكات وأعرف غير واحد من عليّة أهل المناصب محشونين مثل هذا الحشو وينطقون شياً ولا وعيماً بمثل هذه المهاترات : دعينا من هذا يا جسيكا وقولى : كيف أنت يا حبيبتي ؟ وما رأيك في قرينة ياسانيو ؟

جسيكا : فوق ما تصف الكلم . على السنيور ياسانيو ذمة أن يسير أحسن سير الرجال ، لأنه بمحصله على مثل هذه المرأة قد وجد في الأرض نعيم السماء ، وإذا لم يعرف قدر سعادته في الدنيا ، لم يجدر بأن يفوز بسعادة الأخرى ، وأيم الحق ، إنه لو تراهن إلهان على خطر علوى ، وجعلا الرهان امرأتين إحداهما برسيا لوجب أن يزداد في الخطر على الأخرى شيء كثير ، ذلك بأنه ليس في الإمكان أن تلقى امرأة كبرسيا في هذه الأحكام

لورنزو : هي في الزوجات ما أنا في الأزواج

جسيكا : هلا سألتنى رأيي في هذا الشبه ؟

لورنزو : هذا ما سأفعله فيما بعد ، فلنبدأ بتناول العشاء

جسيكا : لا ، ودعنى أمتدحك حين النفس طالبة

: بل دعى هذا بغير أمر نجعله حديث المائدة . ومهما تقولى
 عندئذ أحتضمه مع سواه
 : حباً وكرامة ، وسأتولى الثناء عليك
 « يفرجان »

الفصل الرابع

المشهد الأول

للبنديقية — دار عدل

« يدخل الدوج والأعيان وأنطونيو وباسانيو وغراتيانو وسالارينو وسلانيو وآخرون »

الدوج : هل أنطونيو هنا ؟

أنطونيو : ها أنا ، رهين بأمر سموكم

الدوج : إني مكتئب لما نابك ، وإن خصمك رجل فاقد الإنسانية

عادم الرحمة شديد المراس ميت الإحساس

أنطونيو : نمتي إلى أنكم بلدتم كل مجهود لاستعطافه . فما ازداد

إلا جفوة . ولما كان مستمراً في عناده ، وكان القانون

لا ينجيني ، ونهيات مجلد لما ترميني به نفسه الخبيثة من الرزايا

الدوج : ليدع اليهودي ويمثل لدى المحكمة

سالانيو : هو بالباب ياسيدي ، هو آت « يدخل شيلوخ »

الدوج : افسحوا له فتراه ويرانا مواجهة . شيلوخ ، يظن غير

واحد - وأنا من أصحاب هذا الظن - أنك مصر على ما توحيه إليك البغضاء حتى الدقيقة الأخيرة ، فإذا حلت هذه الدقيقة راجعت حلمك ، ورجعت إلى وحى الشفقة بما لا يدل عليه هذا التظاهر منك بالقسوة المتناهية ، ويزيد أصحاب هذا الظن على ما قدمته أنك ستعدل عن النهج الذى نهجته إلى الآن من تقاضى بضعة اللحم من جسم هذا التاجر المنكود الطالع إلى ما هو أعرق فى الإنسانية ، وأبلغ فى السباحة ، فترك له نصف المقدار الأسمى من الدين ناظراً بعين الرحمة إلى ما منى به حديثاً من الحسائر ، التى لو منى بها أعظم التجار ميسرة لأعسر ، وهو الخطب الذى تلى له النفوس المتصلبة كالنحاس ، وترقى من جرائه القلوب المتحجرة كالرخام ، بل الرزء الذى يرقى له جفاة الترك ، وييكى منه قساة التتار ، أعداء كل رفق وأضداد كل كياسة . إنا نرقب إجابتك أيها اليهودى ، وعسى أن تكون موافقة

شيلوخ : لقد كاشفت سموكم بمقاصدى ، وأقسمت بالسبت . وإنه لقسم لو تعلمون عظيم . إلا ما تنجزت منطوق الصك بالحرف ، فلماذا أبيتم على ذلك فلتقع تبعة هذا الإباء على أنظمة حكومتكم ، وامتيازات مدينتكم . تسألونى علام أؤثر بضعة من اللحم الخبيث على استئداء

ثلاثة آلاف دوق . فجوابي : أنه لو قدر كون هذا الطالب
 إحدى بدوات عقلي لكفى ذلك في إيجابه ، فقد يكون في
 بيتي جرد ثقيل أطيب للتخلص منه عن ثلاثة آلاف دوق .
 أفتبغون مني أسباباً آخر ١٩ . . . من الناس من لا يطيق رؤية
 خنوص واسع الشدقين ، ومنهم من يرتعد لرؤية سنور ، ومنهم
 من إذا سمع غنة الزمار لم يستطع حقن بوله ، ذلك لأن
 شعورنا هو ذو السلطان المطلق على موداتنا وعلى موجداتنا ،
 وفي يده أزمنة ما نحب ، وما لا نحب ، فإن أردتم بعد هذا
 جوابي فإليكم جوابي : كما أن الإنسان لا يستطيع بياناً لما
 بغض إليه الخنوص المثائب وأخافه من السنور الذي
 لا يؤذي ، ونفقه من صوت الزمار ، ودفعه بقوة خفية لامرء
 لها إلى التكره من رؤية ما لا يسره ، ولو عرضه ذلك ليكون
 بغضاً على الآخرين ، كذلك أنا . وحسبي داعياً للتشدد في
 مقاضاة أنطونيو وإيثار احتزاز لحمه ، على استعدادي نقودي
 منه ، فأصل الحقده عليه في دمي ، ويمكن الضغن له من
 فؤادي . أيرضيك هذا ؟

باسانيو : يا للرجل الذي ليست له أحشاء ! ما هذا بالعذر الذي
 يعتذر به عن مثل هذه الخطوة
 شيلوخ : ليس من الضروري أن يعجبك اعتذاري

باسانيو : أكل إنسان يقتل من لا يجب ؟
 شيلوخ : يوجد إنسان لا يجب قتل من يبغض ؟
 باسانيو : ما كل إهانة تتولد منها البغضاء حتماً ؟
 شيلوخ : أتريد أن ينكزك الثعبان مرتين ؟
 أنطونيو : تذكر - رعاك الله - أنك إنما تحاور اليهودي ، وأنه أيسر لك من إقناعه أن تقف على الشاطئ وتأمر البحر بالجزر في غير أوانه فيزدجر ، أو أن تسأل اللئيم لماذا يستبكي النعجة التي افترس صغيرها وتركها تشغور وراءه ، أو أن تحظر على صنوبر الجبل تحريك أغصانه الوريقة الشائبة ، أو الجهر بجفيف أعواده حين تصدمه الرياح ، أو أن تعدل أشق ما يرام عمله ، من أن تتوصل إلى تليين أفسى شيء في الدنيا وهو قلب اليهودي - فقدك - توسلا ، وحسبك جهداً ، وليصدر على الحكم وشيكاً ، ولتكمل مشيئة اليهودي

باسانيو : هذه ستة آلاف درق بدلاً من ثلاثة الآلاف
 شيلوخ : لو قسم كل من هذه الدوقيات إلى ستة أقسام وصار كل قسم دوقياً لما رضيت بها عوضاً ولا ابتغيت إلا إنفاذ الشرط اللوح : أية رحمة يجوز لك أن ترجوها وأنت لا ترحم ؟
 شيلوخ : ماذا أخشى وأنا لم أصنع شراً ؟ للأكثرين منكم أرقاء

شريتموهم بالأموال ، وتستخدمونهم استخدمكم لحميركم ،
وكلابكم ، وبغالكم في أعمال حقيرة ، سافلة ، بعدر أنهم
مما ملكت أيمانكم بالشراء . فلو قلت لكم : أعتقوهم وزوجوهم
من بنيكم أوبنائكم ، علام هم موقرون بالأحمال ؟ لتكن
أفرشتهم وثيرة كأفرشتكم ، ولتكن أطعمتهم شهية كأطعمتكم -
لأجبتوني : هؤلاء الأرقاء ، هم ملكنا . وهذا عين ما أجيبكم
به ، فإن بضعة اللحم التي أطلبها من هذا الرجل ، قد
ابتعتها بثمان غال ، وهي لي ، وإياها أقتضى ، فإن
أبيتموها على لم تجدُر قوانيكم بعد ذلك إلا بالازدراء ،
ولم ترج طاعة بعد لأوامر البندقية ونواهيها . إني لأرغب
حكمكم ، وتكلموا ، أظفر بذلك الحكم ؟

الدوج : سأمر - وعلى العهدة - بإرجاء الدعوى ، إلا إذا وفد اليوم
العلامة بلاريو الذى بعثنا في طلبه لنسمع منه رأى الفصل
في هذه المعضلة

سالارينو: مولاي ، بالباب رسول من بادوا يحمل ألوكا من ذلك الأستاذ
الدوج : أدخلوا الرسول ، وجيثوني بالرسالة

باسانيو : نمجد يا أنطونيو يا صديقى الحميم ، ليأخذن اليهودى دى
وعظاى وكل شيء منى قبل أن تراق قطرة من دمك لأجلى
تاجر البندقية

نعجة جرباء ، ولا بد من موقى لنجاة السرح .
إلى السقوط ضعافها فلاسقط . وأنت فاسلم
بالبقاء . لا أسألك إلا أن تكتب كلمة ترحم على

هبرى

« تدخل نريسا في زى كاتب محام »

: أقادم من بادوا . من قبل الأستاذ بللاريو ؟

يسا : نعم ياسيدى ، وهو يقرئ سموكم السلام

باساليو : « غاطباً شيلوخ الذى يشهد سكينه حل أديم حدائه » — لماذا تشهد
مدينتك بهذا النشاط ؟

شيلوخ : لانتزاع ليرة من لحم هذا المفلس

غراتيانو : إنما تشحذها على الحجر الذى بين جنبيك ، لا على أديم
نعلك ، أيها اليهودى الغليظ الكبد ، وأى حديد لو كان
سيف الجلال يعادل منك هذا الثقل والمضاء فى الحق
والبغضاء . ألا تستمع لضراعة ؟

شيلوخ : لا أستمع ، وخصوصاً لضراعة من مثل ما يوحىه إليك فكرك
الثاقب

غراتيانو : ويك ! اذهب لعيناً أيها الكلب الجهنمى العقورا ولتكن
حياتك شكاية من العدل . تكاد تززع إيمانى ، وتدخل

على عقيدتي قول فيثاغور إن نفوس البهائم تنتقل إلى جسم
الناس فإن روحك ، ولا ريب ، كانت في ذئب
أما توه شنعاً لافتراسه إنساناً ، فانطلقت تلك الحيثة هائمة
حتى انتهت إليك وأنت في بطن أمك السملاة . ذلك لأن بك
ما بالذئب من النهمة إلى اللحم ، والظمأة إلى الدم

شيلوخ : مادام قزعك وسبابك لا يمحوا التوقيع عن الصك فأنت تتعب
رئيسك في باطل . أيها الفتي أصلح ما اعتور عقلك من
التلف ، لتلا تقع في خيال عقام . هنا القانون حليبي
الدوج : إن بللاريوني ألوكه هذا يوصي الحكمة بأستاذ مقتبل الشباب
علم . أين هو ؟

فريسا : ينتظر على مقربة إذن سموكم بالدخول
الدوج : آذنه بارتياح . ليبادر ثلاثة أو أربعة منكم إلى ملاقاته ،
وليصبحوه في الهجى بصنوف الخفاوة ، ولتقرأ في هذه المهلة
ألوكة بلاريو .

المخضر : « قارئاً » « أرفع إلى علم سموكم أنني كنت معتلاً حين
تناولت الكتاب الكريم ، إلا أنه اتفق ساعة قدوم رسولكم
أن عاذني صديق في ريعان الشباب متضلعاً من الحقوق ،
سني المتزلة بين علماء رومة يدعى بلتزار ، فطرحته عليه

مسألة اليهودى ، والتاجر أنطونيو ، وبعد أن راجعنا الكتب ملياً أقررت رأياً سيطلعكم عليه معزراً بما يضيفه إليه من فيض علمه الواسع ، وإدراكه السامى ، وقد أجابنى بعد إلحاحى عليه ، إلى النيابة عنى فى المثول لديكم ، فألتبس ألا يحول العدد المنقوص من سنة دون ما هو حقيق به من التجلة لعلو كعبه فى القانون ، وما أذكر أننى شهدت رأساً أشيخ من رأسه على جسمه ، فهو موكول إلى حفاظكم ، وفضل رعايتكم ، وفى يقينى أن أعماله ستكون أبلغ فى التوصية به من أقوالى »

الدوج : سمعتم ما ذكره العلامة بللاريو ، وهذا نائبه الفاضل إن صدق تخمينى

« تدخل برسيا فى زى عالم حقوق »

الدوج : « مستراً » : هات يدك . أقدم أنت من قبل الشيخ بللاريو ؟

برسيا : نعم يا مولاي

الدوج : على الرّحّب والسّعة . اجلس . أتدرى المسألة التى تهتم بها المحكمة الآن ؟

برسيا : أعرف المسألة بتفصيلها . من فى هؤلاء التاجر ؟ ومن

فيهم اليهودى ؟

الدوج : أنطونيوشيلوخ ، تقدما كلا كما

برسيا : أنسمى شياوخ ؟

شيلوخ : اسمى شيلوخ

برسيا : دعواك غريبة فى بابها ، ولكنها مسوقة سياقاً لا يملك معه

قانون البندقية توقيف سيرها و مخاطبة أنطونيوشيلوخ ، أو أنت الذى

أمرك الآن منوط بأمره ؟

أنطونيوشيلوخ : هذا ما يزعمه

برسيا : أتعترف بالصك ؟

أنطونيوشيلوخ : أعترف به

برسيا : على اليهودى إذن أن يكون رحيماً

شيلوخ : من الذى يضطرقى إلى الرحمة ؟

برسيا : جمال الرحمة أن تكون خياراً لا اضطراراً . فهى كماء السماء

ينهمل بالخير ، ويهطل باليمن عفواً من وهب ، وبركة لمن

كسب . فإذا كانت الرحمة عفواً صادراً عن مقدرة ، فهناك

بهاء قدرتها ، وازدهاء جلالها . أما تراها إذا تحلى بها الملك

القائم كانت لهامته أزين من التاج ، وفى يده أقوى من

صوبحان الأئمة والنهى ، وكان عرشها المنصوص فى قلبه أعظم

تمكيناً له من عرشه الذى يستوى عليه لأنها من صفات الله

تاجر البندقية

عز وجل ، ولا يكون السلطان الدنيوى أقربَ شَبْهاً إلى السلطان العلوى منه إذ يُلطفُ العدل بالرحمة ، فبها أيها اليهودى ، مهما يكن من استنادك فى دعواك إلى العدل ، فلا تنس أن الله لو عامل كلاً منا بمحض العدل لما بات إنسان على أدنى رجاء بالمغفرة والنجاة . لهذا نستغفر الله كل يوم فى أدعيتنا . وكما نستميحه العفو يجب علينا أن نكون من العافون عن الناس . وإنما خاطبتك هذا الخطاب لأنبهك إلى ما فى طلبك من التعالى ، بل الإغراق فى التقاضى ؛ فإن لبثت على إصرارك مع هذا فلا يسع الحكمة إلا الامتثال لما يوجبه القانون من عقوبة هذا التاجر

شيلوخ : لتقع تبعة أعمالى على رأسى . أتشبث بالقانون ، وألح فى إنفاذ شرطى

برسيا : أليس فى طاقته أن يوفى الدين ؟

باسانيو : بلى فى طاقته ، وأنا مستعد لأدائه فى هذه الحاضرة ، بل لأداء مثليه ، فإن لم يكتف تعهدت بعشرة أمثال المطلوب تعهداً أفادى عليه بساعدى ، ورأسى ، وقلبى . فإن لم يكتف تبين إذن أن العوج يدُول من الاستقامة ، أو أن الرذيلة توهق الفضيلة ، فإليكم أضرع بلخاف أن تلتفتوا بسلطانكم قدرته على الإساءة ، متوسلين بأدنى الضير ،

للوصول إلى أسنى الخير ، كاتبين بتأييد من الله الرحيم جماع
هذا الشيطان الرجيم

برسيا : هذا ما لا ينبغي كونه . وما من قوة في البندقية تستطيع تشذيب
القانون النافذ . فلو فعل ذلك لأعقبه مالا يحصى من ضروب
التجاوز قياساً على هذا التجاوز الأول

شيلوخ : ليس قاضينا إلا دانيال ذلك النبي الكريم . أجل هو دانيال .
ألا أيها القاضي الملىء بالحكمة على نصارة عودك ، ما أجل
قدرتك في نفسى !

برسيا : أستمح الاطلاع على الصك

شيلوخ : ها هو ذا أيها العلامة الموقر ، ها هو هذا

برسيا : شيلوخ قد عرض عليك ثلاثة أمثال المقدار .

شيلوخ : سبق اليمين . سبق اليمين . حلفت بالله ، أفأحنت ؟
لاولو أعطيت البندقية كلها

برسيا : انقضى أجل هذا الصك ، وبموجب الخط الذى فيه حقت

لليهودى قانوناً لبرة من لحم التاجر تبضع مما حول القلب . ليهأ .

كن رحيماً . تقبل ثلاثة أمثال نقدك وأجزلى أن أمزق هذا الصك

شيلوخ : ليمزق بعد إجراء مقتضاه . بيسن أنك قاض جليل ، علم

بالقانون ، فقد شرحت الموضوع شرحاً هو الصحة بعينها ،

فباسم القانون الذى أنت من عماده الراسخات أكلفك

إيقاع الحكم ، وأقسم بنفسى إنه ليس فى قدرة فصيح
من البشر أن يحولنى عن قصدى ، فلا مناص من إنفاذ
حكمى

أنطونيو : ألتص من الحكمة بالخاف إيقاع حكمها

برسيا : الحكم يوجب تعريض صدرك لمديته

شيلوخ : يا للقاضى النبيل ! يا للفقى اللبيب !

برسيا : ذلك لأن القانون موافق بجلاء وثبوت على الحقوق التى نحوته
إياها نص الصك

شيلوخ : قول لاريب فيه . أيها القاضى الحكيم العادل . ما أكبر
سبك عقلاً وما أقلها أعواماً

برسيا : اكشف له صدرك

شيلوخ : نعم صدره . هكذا كتب فى الصك . أليس كما أقول أيها
القاضى الشريف ؟ بجوار القلب ؟ هكذا ذكر بالحرف

برسيا : لا معارضة . أوجد هنا ميزان لوزن اللحم

شيلوخ : الميزان معى

برسيا : يجب أيضاً أن يكون هنا جراح على نفقتك يا شيلوخ مخافة
أن يموت الخصم من شدة انتزاف دمه

شيلوخ : أهذا وارد فى الصك ؟

برسيا : لم يرد فى الصك ، ولكنه عمل لإنسانى يحسن بك أن تعمله

شيلوخ : لا أرى ما ترى ، وما لذلك ذكرنى الصك

بروسيا : إذن أيها التاجر . ألك أقوال ؟

أنطونيو : شيء غير كثير ، أنا متأهب وصابر . هات يلك يا باسانيو

وتلق وداعى . لا يجوز لك أن صرت هذا المصير من أجلك

فإن المقادير قد رفقت بى رفقا ليس من مألوفها فى مثل

مصاى . فمن مألوفها أن تبقى من فقد جأه حيا ، غائر

العينين مثقل الجبين بالغصون ، يتوقع شيخوخة البؤس والفاقة

أما أنا فلإنها أنقذتنى من هذا العذاب الطويل ، وغاية

ما أرجو أن تذكرنى بخير لدى عروسك المشرقة ، وتخبرها

كيف كانت نهاية أنطونيو ، وتصف مبلغ حبي لك وتبها

بك ، مما ألم بك حين شهدت ميتى ، فإذا فرغت من ذلك

أن تسألها : « ألم يكن لى صديق ؟ » ثم ألا تعاتب نفسك على

وفاة ذلك الصديق ، فإنه هو غير آسف على إيراك من

دينك ، مع علمه أن مدينة اليهودى لوانحرفت ، أو تعادت

قليلا لذهبت بالقلب كله فداء لك

باسانيو : أى أنطونيو ، لقد شركت فى حياتى امرأة أهواها كهوى

للحياة ، غير أننى أكاشفك أنه لا الحياة ولا امرأتى ،

ولا الدنيا كافة بالشىء الذى يعادل عندى بقاءك ، فإنى

لأرضى بفقد أولئك جميعا ، وتقديم أولئك جميعا قربانا

لهذا الشيطان فى سبيل نجاتك

برسيا : لو سمعتك زوجك لما أعجبها هذا العرض الذى تعرض
غراتيانو: لى عروس أحبها كل الحب ، وتالله لو علمت أنه
إلى السماء وبشفاعتها يلين قاب هذا اليهودى
لسخوت بها

برسيا : الحمد لله أن سماحك هذا إنما ذكر فى غيابها ، ولو
عشنا فى رفاء

شيلوخ : « مفرداً » كذا حال الأزواج من النصارى .
وددت لو بنى يهودى حتى من نسل باراباس !
كائنات من كان « جهراً » نحن نضيع الوقت نفصاً
بالحكم

برسيا : حتى لك رطل من لحم هذا التاجر ، فخذ ما ثبت لك
القانون وبأمر المحكمة

شيلوخ : يا لك من قاض عادل !

برسيا : ثم لك أن تقطع الرطل من صدره بموجب القا
المحكمة

شيلوخ : يا للقاضى ! كذا الأحكام : تأهب

برسيا : رويدك . لم نستوف الحكم . الصك لا يميز لك
قطرة من الدم ، بل نصه بالحرف « من اللحم » ،
ما هو لك . خذ رطل اللحم ، ولكن إذا سفا

اقتطاعها نقطة واحدة من دم مسيحي قضى عليك قانون
البندقية باستصفاء أملاكك وأموالك ومآلها إلى الحكومة

غراتيانو : يا للقاضي المنصف ! ما قول اليهودي ؟ يا للقاضي العلامة !
شيلوخ : أهذا ما يقوله القانون ؟

برسيا : سنطلعك على النص ، لأنك طالب عدل ، فان نرجع
في الحكم إلا إلى العدل ، أدق ما يكون العدل

غراتيانو : يا للقاضي العليم ! ما قول اليهودي ؟ يا للقاضي الفضيل !
شيلوخ : أما والحالة هذه فأنا أقبل ما عرض على . ليدفع إلى ثلاثة
أمثال القدر ، ويطلق سراح النصراني

باسانيو : ها التقود

برسيا : مهلاً ، سينصف اليهودي كل الإنصاف . مهلاً لا تتعجل .
سيعطى حقه

غراتيانو : يا يهودي أمل أن يكون هذا القاضي عادلاً وعالماً كقولك
برسيا : تأهب إذا لانتزاع البضعة بلا إراقة دم ، واحرص أن تقتطع
الرطل لازيادة ولا نقصاناً . فإذا وجد فرق ، ولم يكن إلا
عشر معشار الدرّة ، أو لم يكن إلا مثقال شعرة في رجحان
كفة من الميزان على الأخرى ، قتلت وصودرت أموالك
غراتيانو : هذا دانيال ثان . هذا دانيال يا يهودي . الآن قد أمسكت
بتلابيبك

برسيا : ماذا تنتظر أيها اليهودي ؟ خذ حقلك

شيلوخ : أعيدوا إلى أصل قرضي وأنصرف

باسانيو : هو معد لك ، ها هو ذا

برسيا : أباه على المحكمة ، فلا بد من أخذه الحق الذي تقاضاه دون

سواه ، كنص القانون بالتدقيق

غراتيانو : دانيال بعينه . دانيال ثان . أشكر لك تعليمي هذه اللفظة

شيلوخ : ألا يرد على أصل مطلوب ؟

برسيا : لن تأخذ يا يهودي إلا ما هو لك ، فتناوله وعليك تبعاته

شيلوخ : إن كان الأمر كذلك فليحتفظ به ولينصرف غنى إلى

جهنم . لن أطيل الإргاء في هذا المعنى

برسيا : على رسلك أيها اليهودي ، لم ينته الحكم بعد ، وإن في

القانون لبقية تعنيك . فقد جاء فيه أنه إذا ثبت على أجنبي

توسله بوسائل مباشرة ، أو مداورة للقضاء على حياة واحد

من الأهلين ، حق للمشروع في الجناية عليه نصف

ما يملكه الشارع في الجريمة ، وللحكومة النصف الآخر ،

وجعلت حياة المأخوذ بالذنب رهن إشارة الدوج بانفراده ،

فأنا أجهر بأنك تحت طائلة هذا النص ، لأنه ظهر جلياً

أنك بوسائل منحرفة ومباشرة ، تأمرت على حياة المدعى

عليه ، وأوجبت على نفسك ذلك العقاب . فأجثُ واتمس
رحمة الدوج

غراتيانو: أستاذن بأن تنصرف فتقضى على نفسك شتقاً . ولا كانت
أموالك قد آلت إلى الحكومة ، ولم يبق لديك ثمن الحبل
تشر به فسماتك سيكون على نفقة الجمهورية

الدوج : إني أمنحك الحياة قبل أن تلتسها منى ، لتعلم الفرق
بيننا وبينك ، وإذا أبديت ندماً على ما فات منك لطف
من القصاص الذى يجعل نصف أموالك لأنطونيو والنصف
الآخر للحكومة ، فحولت الشطر الثانى منه إلى غرامة فحسب
برسيا : فيما يرتبط بالنصف الذى يرجع إلى الحكومة ، دون النصف
الذى يرجع إلى أنطونيو .

شيلوخ : خذوا حياتى إلحاقاً لها بالباقي ، فإنكم إذا أزلتم ركن البيت
ذهبتم بالبيت . أفأعيش وأنتم لا تدعون لى ما أعيش به ؟

برسيا : بماذا تجود رأفتك عليه يا أنطونيو ؟

غراتيانو: بحبل لا أكثر وأيم السماء

أنطونيو : أصرع إلى مولاي الدوج ، وإلى المحكمة ، أن يترك له نصف
أمواله ، وحسبى ربع النصف الآخر ، على عهد منى بتسليم

ذلك النصف ، حين وفاة اليهودى إلى الرجل الذى تزوج
ابنته ، ولى على تحقيق هذا العهد شرط ، هو أن يوقع الآن
بمحضرة المحكمة ، على صلح يخرج به عن كل مال فى
حوزته يوم وفاته لصهره لورنزو وكريمته

الدوج : ليفعل أو أسترد عفى

برسيا : أتقبل أيها اليهودى ؟ بمـ تجيب ؟

شيلوخ : أقبل

برسيا : أيها المحضر ، حرر صلح الهبة من فورك

شيلوخ : تكرموا وأذنوني بالانصراف ، فقد انهض عزمى ، ومتى جاءنى
الصلح أمضيته

الدوج : لك أن تنصرف ، ولكن إياك ألا توقع

غراتيانو : سيكون لك عرابان حين تنصيرك ، لكننى لو كنت أنا
قاضيك لكان لك بدلها عشرة نفر يحملونك إلى المشنقة
« يخرج شيلوخ »

الدوج : « غاطباً برسيا » : أرجو يا سنيور أن تجيب دعوتى إلى العشاء
الليلة

برسيا : ألتبس خاشعاً من سموكم إعفائى ، فلإنى عائد إلى بادوا
من ساعى

الدوج : أنا آسف لهذا الإسراع . اشكر يا أنطونيو لهذا العلامة
صنيعته إليك ، فإنها لكبيرة فيما أظن
« يخرج الدوج والشيوخ بعد مطالعة عقد الهبة صامتين »

باسانيو : أيها السيد المبجل ، إني وصاحبي لصنيعتك منذ اليوم ، بما
أقررت به أعيننا من آيات حكمتك ، وربما أنقلدتنا من فادح
الخطب، فنبتهل إليك أن تتقبل ثلاثة آلاف الدوق التي كانت
لليهودى ، لا أجراً وفاقاً، بل بعض الجزاء لما مننت به
علينا من حسن مساعدتك

أنطونيو : هذا مع بقائنا مدينين لك مدى العمر، بما هو فوق المال ،
ومع إعجابنا على نفسنا كل "خدمتنا وكل" وفاء لك إلى آخر
أيامنا

برسيا : كفى بالمبرة مرضاة للبار، إني لمسرور لكوفى أنقلدتكما فأعتد
هذا جزاءً وافيًا ، ولم أكن قط ممن يقيمون للدينار وزناً ،
ونهاية ما أرغب فيه إليكما هو أن تعرفاني حين نلتقى بعد الآن،
وأسأل الله لكما النعمة والهناء ، مستأذنًا بالانصراف

باسانيو : اغفر لى يا سنيور الحاحى عليك بأن تقبل هدية منا ،
على سبيل الذكرى لجميلك ، لا على سبيل المكافأة ،

وأتشدد في التماس أمرين منك : قبول الهدية ، والصفح عن
الحاحي

برسيا : أراك تلج بلحاجة لا تبقى لي مندوحة من القبول « مخاطبة
انطونيو » أعطني قفازيك سألبسهما تذكراً لك « مخاطبة
باسانيو » وأنت أقبل منك هذا الخاتم علامة على مودتك .
لا تردد يدك . لن آخذ منها أكثر من هذا ، وإخالك مجيبي
إلى ما طلبت

باسانيو : هذا الخاتم يا مولاي — واشقوتاً ! — أستحي أن أسديك شيئاً
بهذه القيمة الدنيئة

برسيا : بل هو الشيء الفرد الذي أقبله ، والآن قد ازدادت رغبة
فيه

باسانيو : لهذا الخاتم ثمن معنوي عندي لا مناسبة بينه وبين ثمنه المالى ،
فدعه لي على أن أبتاع لك أعلى خاتم في البندقية ، خاتم أرسل
في التماسه الدلائل والمنادين منبئين في كل جهة . أيكفى ذلك
لتعذرني عن السماح بهذا الخاتم

برسيا : أجد ياسنيور أنك لا تجود إلا بالوعود ، وقد علمتني كيف
أقترح ، ثم تعلمني الآن كيف أمنع ما يثقل على الطبع
من العطاء

باسانيو : إني يا سيدى متشبت بهذا الخاتم ، لأن امرأتى قد وهبتني

إياه ، واستحلفتني حين وضعته في أصبعي ألا أبيعه ، ولا
أسمح به ، ولا أفقده

برسيا : هذا اعتذار يعتذر به غير واحد من الرجال عن إهداء
ما يطلب منهم ، إلا أنني أعتقد أن امرأتك إذا علمت بما
فعلته لا ستحقاق هذه الهبة لم يغضبها تخليك عن الخاتم ، في
الحد الذي تتصوره ، إلا إذا كان بها مس من الجنون .
لا بأس . السلام عليكم « تم بالانصراف »

أنطونيو : « مخاطباً باسانيو » أعطه هذا الخاتم يا سنيور باسانيو ،
ألا تضع خدمته لي وصدائقي لك في كفة من الميزان ،
تقابل الكفة التي فيها نهى عروسك ؟ ! عجل وأهده إليه
باسانيو : إليك يا مولاي المبعجل هذا الشيء الذي رغبت فيه ،
قد طابت نفسي عنه لك ، وأنت المتفضل الحميد ،
حياك الله يا مولاي

أنطونيو : حياك الله أيها السيد الأمثل ، ليتك تسمح بزيارتي
الآن مع السنيور باسانيو فتزيدني إحساناً
أعتذر إليك على أسف مني ، لأنني مضطر إلى السفر
عاجلاً

« يخرج باسانيو وأنطونيو ويدخل خادم فيدفع ورقة إلى نريسا »

نريسا : هذا صك اليهودى قد جرى به الآن
 برسبا : لنذهب إلى اليهودى فيوقع عليه حالا ، ثم نبحر من فورنا
 لنسبق زوجينا إلى القصر
 « يخرجان »

الفصل الخامس

المشهد الأول

بلمنت — شارع أمام قصر برسيا

« يدخل لورنزو وجسيكا »

لورنزو : القمر يضيء إضاءة ساطعة . في مثل هذه الليلة كان
النسيم الخفيف يداعب الأوراق مداعبة لا يسمع لها
خفيف ، وكان ترويل على أسوار طروادة ، يتنفس
الصعداء متلفتاً نحو خيام الإغريق ، ذاكراً حبيبته
كريسيده

جسيكا : في هذه الليلة كانت تسبا تطلّ الندى ، فرفع لها طيف
أسد قبل أن تری الأسد ففرت مروعة

لورنزو : في مثل هذه الليلة كانت ديدون ، ويبيدها غصن صفصاف
واقفة على شاطئ البحر تنادى عشيقها وتشير إليه أن يعود
إلى قرطاجنة

جسيكا : في مثل هذه الليلة ذهبت ميده تقطف الأنبتة السحرية التي

بها تجدّد شباب إيسون

لورنزو : في مثل هذه الليلة فرّت جسيكا من بيت اليهودى الغنى
لاحقةً بعاشقها المخاطر من البندقية إلى بلمنت

جسيكا : وفي هذه الليلة حلف لها بحبها اليافع لورنزو أن يهواها إلى آخر
نسمة من حياته ، وقطع لها على الثبات عهداً ، لن يكون
صادقاً في أحدها

لورنزو : وفي مثل هذه الليلة وشت المعشوقة الماكرة جسيكا بمحبها فغفر
لها ما قرط من ذنبها

جسيكا : لولا سماعى خطى قادم لأطلت هذه المحاورة
« يدخل ستفانو »

لورنزو : من السارى بهذه السرعة ؟

ستفانو : صديق

لورنزو : أى صديق ؟ ما اسمك بحق الوداد أيها الصديق ؟

ستفانو : اسمى ستفانو . وقد جئت لأبشركم بأن مولاتى لا تلبث أن
تصل إلى بلمنت وهى هائمة على وجهها ، كلما صادفت
أحد الصلبان المقدسة فى طريقها جئت وصرّعت إلى الله
بأن يبارك فى قرانها

لورنزو : من يصحبها ؟

ستفانو : لا أحد سوى وصيفتها وناسك . أخبرني متفضلاً : أعاد مولاي ؟

ورنزو : لم يرد نبأ عنه إلى الآن . لنعد يا جسيكا إلى البيت ونهيئ لربة القصر لقاء لائقاً بها « يدخل لنسلو »

نسلو : هيا . هيا . هيا . هو . هيا

ورنزو : من ينادي ؟

نسلو : هيا . أرايت المسيو لورنزو ؟ أرايت السيدة قرينة لورنزو ؟ هيا . هو

لورنزو : كفى صخباً ها هما

لنسلو : هيا ، أين ، أين هما ؟

لورنزو : هنا

لنسلو : قل لهما إنه جاء بريد من قبل سيدى مملوء الجيوب أخباراً سارة ، وسيكون سيدى فى هذا المكان قبيل الفجر « يبتد »

لورنزو : هلمى لنسخل يا روحى العزيزة . وننتظر عودهما . ولكن لا

علام الدخول . قد أبلغ الصديق ستفانو أهل القصر أن

مولاتك على وشك القدوم ، وقد جاء بالموسيقين إلى هذا

الخلع ليكونوا فى الهواء الطلق « يبتد ستفانو »

لورنزو : « متماً » ما أرق ضوء القمر فى انبساطه هادئاً على ،

وجه هذه المرجة الخضراء . لنجلس ونشغف آذاننا بأنغام الموسيقى ، فإن الظلام والسكوت أفضل مواقع الألحان . اجلسي يا حبيبتي جسيكا وسرحي الطرف في هذا الفضاء العلوى الممدد تمديد المستوى الخشبي الصقيل ، وقد رصع بما لا يحصى من الصحف الذهبية اللامعة . ما من جرم في هذه الأجرام التى ترينها إلا هو ضامٌ نغمته السباوية إلى خورس الملائكة ذات العيون المألئى صبي ، ومثل هذا الشجى الشائق يتردد فى النفس الخالدة ، ولكن الكساء الضافى علينا من نسج الفساد وحماة الصلصال يحول دون سماعنا ذلك الإيقاع

» يدخل الموسيقون «

لورنزو : تعالوا ، ولتستيقظ ديانا على أصواتكم . أطربوا بمحاسن ألحانكم مسامع سيدتكم ، وليجتذبها الشوق نحو مستقرها جسيكا : لا أستطيع أن أكون فرحة عندما أسمع موسيقى شجية لورنزو : ذلك لأن قواك تكون صاغية . انظري إلى مقبنة من المهار الوحشية الوثابة ، ولما تبلى ما بالشكيم والحكم من حكم وألم ، تجديها مندفعة بحرارة دمها الغالى اندفاع ما لا راد له ، تفرع الهواء برقات صهيلها . فإذا حملت الريح إليها بغتة عزفاً موسيقياً وقفت جماعة من فورها ، وغلب فعل النغم الذى

سكنت إليه على تلك العزيمة الهمجية التي كانت تنقد في عينيها ، ولهذا ادعى الشعراء ، وما أخطأوا ، أن أورفه كان يجذب إليه الأشجار والصخور واللجج ، إذ ما من مخلوق بلغ ما بلغ من البلادة وجمود الحس والهمجية إلا والموسيقى تأثير في طبيعته . الرجل الذي لا يشعر بالموسيقى ولا يهزه الطرب إنما هو مقطور على الغدر والاحتيال والاعتقال . حركات نفسه قطوب كقطوب الظلام ، وأهواؤه سود كأهواء الريب . وقصارى القول إنه رجل يحذر شره ويتقن أمره .
لنتسمع للموسيقى

« تظهر برسيا ونريسا من جانب آخر »

برسيا : هذا النور الساطع منبعث من كوة المزاراة الكبرى في قصرى ، ما أبعد مداه بالإضاءة ، وما أشبهه بالعمل الطيب في هذا العالم الخبيث

نريسا : لم ننظره قبل أن يغشى السحاب القمر

برسيا : وهكذا المجد الصغير يستغرقه المجد الكبير . يظل رسول الملك متألق المظهر ، حتى يحىء مولاه ، فيتوارى الرسول في جلال الملك ، كما يتلاشى الجداول الضعيف في البحر الواسع .
أسمع أنغام موسيقى . لنصغ إليها

نريسا : هذه موسيقى القصر
برسيا : قيمة الأشياء أبداً نسبية ، ويخيل إلى أن [هذه الألحان
أشجى الآن منها في النهار

نريسا : السكوت يا سيدتي يعبرها هذا الطرب
برسيا : إنما الغراب والقنبراء واحد في أذن من لا ينصت إليهما ،
وعندى أن البلبل لو غرّد نهاراً بين صياح الإوز ، لما أنزل
من الطرب إلا في منزلة البويانة . وكم من الأشياء لا يتأق
سواء قدرها ، ولا يتسنى لها تمام بهجتها ، إلا من ملاءمة أنها
أو أينها ، صه ، قد رَقَّ النغم لثلاثي يثقف العاشقان النائمان
على وساد واحد ، ينقطع صوت الموسيقى ،

لورنزو : « قادماً وغائباً أحداً وراءه » هذا صوت برسيا ، أو شدّ
ما أنا مخطفٌ .

برسيا : عرفني كما يعرف الأعمى رنة الوقت ، لسوء ما تشبه
نغماتها بنغمة الطائر

لورنزو : على الرحب نزولك في دارك يا مولاتي
برسيا : ضرعنا إلى الله استدواراً للخير على زوجينا ، وأملنا أن يكون
دعائنا قد استجيب . أرجعاً ؟

لورنزو : تقدم بشير بقرب ورودهما
برسيا : ادخلي القصر يا نريسا ، وأوصي خدتي بألا ييوجوا

بغيتنا . وأنت يا لورنزو ، حذار أن تفشى السر ،
وأنت يا جسيكا « يسمع مزف »

لورنزو : هذا معزف قرينك ، فهو قاب قوسين منا . نحن حفظة
للعهد ، فلا تخشى أن نكاشف أحداً بما في الضمير
برسيا : يكاد الليل ، وهذا إقاماره ، يشبه بالنهار ، غشيت
السحب شمسه فبدا في حلة من البهار

« يدخل باسانيو وأنطونيو وخراتيانو وأتابهم »

باسانيو : لو حلّ الليل بطلعتك لكانت الشمس معنا في هذا
المكان وفي مقاطره من الأرض

برسيا : يضيء نوري من غير أن يزدهر ، فإن المرأة البعيدة
الإشراق لا يكون زوجها إلا محققاً غضوباً ، وبودي
ألا تكون ذلك أبداً . إنما يفعل الله ما يشاء . أهلاً
بك يا مولاي في أهلك وسهلاً في سهلك

باسانيو : حياك الله ، وشكر لك عني يا سيدتي تفضل ورحبي
بصديقي ، هذا أنطونيو هذا هو الرجل الذي أنا مدين له
بكثير

أنطونيو : غير أنني قد كوفئت أحسن مكافأة عن كل ما كان
« يحدث حوار بين خراتيانو وبريسا »

برسيا : مرحباً بك في هذا الصرح يا سنيور ، سنحاول إثبات وفائنا لك بغير الألفاظ ، فدعنا من المجاملة الشفوية غير المفيدة غراتيانو : « غاملاً نريسا » وإيم هذا القمر المنير ، لأنك مخطئة بشكوكك مني . قسماً بقول — وإنه لصادق — لم أهد الخاتم إلا إلى كاتب المحامي ، ليت ذلك الكاتب لم يكن ولا السبب الذي أثر فيك هذا التأثير كله

برسيا : ويكما أبدأتما الشجار ؟ علام تختلفان ؟ غراتيانو : على خاتم ذهب لا قيمة له ، أعطيتني إياه ، وعليه ، كلمات منقوشة مما يحفر مثله صناع المدى ، وتلك الكلمات هي بلفظها : « أحبيني ولا تتركيني »

نريسا : ما دخل القيمة أو النقش ؟ عندما وهبتك إياه ، أقسمت لي إنك تستبقيه إلى الممات ، بل تستصحبه إلى القبر ، فكان جديراً بك تحرمناً لأيمانك المغلظة أن تحتفظ به . لكنك تزعم أنك جددت به على كاتب محام . وأنا على يقين من أن ذلك الكاتب لم ينبت الشعر في ذقنه

غراتيانو : سينبت له عذار إذا أدرك الرجولة نريسا : أجل ! على تخمين أن الأثني تصبح ذات يوم ذكراً . غراتيانو : أعزم إنني أهديته إلى غلام مراهق ، ربعة لا ينيف . عليك طولا ، وهو كاتب القاضى . التمسه مني أجراً

لخدمته ولم أجرو أن أضنّ به عليه

برميا : إذا وجبت المصارحة بما في الضمير فقد أخطأت بأن منحت

— من غير أن تبصر — أول هدية أهدتها إليك امرأتك

ولاسيما أنها خاتم تقلدته ، مقسماً بالحرص عليه ، وكان

جديراً بأن يستمر لصيقاً بلحمك مدى العمر ، لأنه عربون

الوفاء الزوجي ، على أنني قد أهديت إلى قريني خاتماً من

قبيله ، واستحلفت ألا يطيب عنه نفساً ، فأسأله تيقن كيقيني

أنه لو بادل عليه بكنوز الخافقين ، لما أخرجه من أصبعه ..

حقاً يا غراتيانو . لقد أحدثت في نفس امرأتك سبباً مشيراً

للشجن ، ولو أحدثت بعلى مثله في قلبي للذهب بلبي

باسانيو : « منفرداً » يا للداهية . كان خيراً لي أن أقطع يسراى ،

وأقسم إنني لم أفقد الخاتم إلا بعد دفاع مجيد

غراتيانو : السنيور باسانيو منح خاتمه للقاضي ، بعد أن ليج في

طلبه ، وكان القاضي خليقاً بأن يعطى ما يشاء ، أما

أنا فقد رغب إلى كاتب سره في الحصول على الخاتم

الذي بيدي ، فعرفت له قدر ما كتب ، وما تعب ،

وحققت أمله . على أنهما كليهما قد عفاً عن كل جزاء

منا إلا هذين الخاتمين

برميا : أي خاتم وهبت أيها السيد ، لعله غير الذي أخذته مني

باسانيو : لو استطعت أن أضيف أكلووية إلى ذنبي لأنكرت ،
ولكنك ترين أن الخاتم ليس في أصبعي ، وقد فقدته
برسيا : ويحك من قليل الإيمان حاثت بالإيمان ! آليت بالعلو العظيم
ألا أدخل سريراً أنت فيه ما لم أجد خاتمي

نريسا : وأحلف مثل حلفتها أو أجد خاتمي
باسانيو : يا سيدتي الجميلة ! لو كنت تعلمين لمن أعطيته ، ومن
أجل من أعطيته ، وبعد أي تمنع أعطيته ، إذ لم يرضه
أي شيء سواه ، لرفهت عليك ، وخففت من كدرك
برسيا : وأنت لو علمت قيمة ذلك الخاتم ، أو نصف قيمة
الإنسان الذي وهبك إياه ، ولو أدركت أن شرفك
مرتبط بالألا تتخلي عنه ، لما طبعت عنه نفساً . ولو تشددت
بعض التشدد الواجب في الدفاع ، لما سمع رجلاً عنده ما قل
من الرقة ، أو الكياسة ، أو الأدب أن يصر على سلبك شيئاً
له عندك مثل تلك الكرامة . لقد أفهمتي نريسا ما يجدر بي
أن أظنه . وأنا الآن على ثقة من أن الخاتم إنما أهدي إلى
امرأة

باسانيو : لا ياسيدتي ! أعزم على شرفي ، وعلى نجاة نفسي إن
الذي تلقى الخاتم ليس امرأة ، بل عالم حقوق لم يرض
ثلاثة آلاف دوق عرضناها عليه ، وإنما ابتغى خاتمي ،

فبعد أن أبوته عليه ، وكاد ينصرف مغضباً ، مع أنه
 منقلد صديق — ماذا أقول لك أيتها الحبيبة برسيا —
 غلبني على أمرى عظمٌ جميله ، واستحييت من ضئى
 عليه تجاه تفضيله علىّ ، فلم أجرو أن أدع على شرفى
 وصمة عار كوصمة هذا الجحود للإحسان ، فاغفرى لى
 ذنبى يا مليكة لى ، وأستشهد كواكب السماء ، مصابيح
 هذه الليلة البيضاء ، أنك لو كنت حاضرة لأمرتى أمراً
 بإعطاء الخاتم لذلك الدكى العالم

برسيا : حذار أن يدنو عالمك من حرى ، فتالله لو جاء بعد
 أن حصل على الحلية التى كانت عزيزة علىّ ، وكنت
 حالفاً بالحرص عليها من أجلى حبي ، لو جاء لما بخلت
 عليه بشيء يطلبه مما لا أبيعهُ إلاّ قرينى دون سواه . واعلم
 أننى سأعرفه ، فإياك أن تغيب ليلة واحدة ، وألا ترقبى دائماً
 بعين الحذر ، فإنك إن قصرت فى ذلك ، أو تركتني يوماً
 منفردة فوالم شرف الذى ما زال ملكى ، لأبيتن وضجيجى
 ذلك العالم

نرېسا : « غامطة غراتيانو » : وليكونن ضجيجى كاتبه إن غفلت عنى
 غراتيانو : ليفعل إن استطاع ، ولكن إياه أن يقع فى يدى فأهشم بها
 قلمه

- أنطونيوس : يا أسنى ! أنا المسبب لكل هذا الشجار
- برسيا : لا تبال ذلك يا سنيور ، مرجحاً بك على كل حال
- باسانيو : برسيا ! اصفحى لى عن هذه الغلطة التى وقعت برغى ،
وأقسم على مرأى ومسمع من أصحابنا هؤلاء . أقسم بعينيك
اللتين أرى فيهما
- برسيا : يا أيها الرجل الذى هو اثنان فى واحد ، وكللك يتراعى فى
كل من عيني . أقسم بازددواجك هذا أصدق يمينك
- باسانيو : رحماك ! أصغى لى . تجاوزى لى عن هذه الغلطة ،
وأحلف بنفسى لئنى لن أحث بأيمانى لك بعد اليوم
- أنطونيوس : « غاطباً برسيا » : قد سلف أنى رهنت من أجله حياتى
وهى تلك الحياة التى كنت أسلبها ، لولا العالم الذى
كوفئ بذلك الخاتم ، واليوم أرتهن لك عهدى عنه ،
بأنه لن يحث عن عهد ، أو على علم منه ، بأى أمر
يكون قد عاهدك عليه
- برسيا : رضيت بك ضامناً ، فأعطه هذا الخاتم ، وأوصه بأن يحرص
عليه أكثر مما حرص من قبل
- « يتناول غاماً ويدنيه إلى باسانيو »
- أنطونيوس : تناول هذا الخاتم يا سنيور باسانيو واحلف بأنك تصونه

باسانيو : وایم الله هو نفس الخاتم الذى وهبته للعالم
برسيا : من يده تلقيته ، وغفرانك يا باسانيو !
نريسا : « غطابة غراتيانو » كذلك أنا ألتمس عفوك يا حبيبي
غراتيانو ، فإن ذلك الفنى المتقاصر ، كاتب القاضى ،
قد أعاد إلى هذا الخاتم الليلة البارحة
غراتيانو : غرابية وأى غرابية ! أفرخت لناقرون ولما يحن نباتها ! ما أشبه
هذه الحالة بإصلاح الطرقات الجميلة صيفاً حيث لا حاجة
إلى ذلك الإصلاح
برسيا : لطف من ألفاظك ! أجدكم جميعاً دهشين « غطابة باسانيو »
هذا كتاب تقرؤه — حين فراغ — كتبه بللاريو من بادوا
وفيه أن برسيا هى العالم ، ونريسا هى ناموسه . وسيخبركم
لورنزو أننى سافرت منذ سافرتى ، وأننى إنما عدت الآن قبيل
عودتكم ، فلم أملك أن أدخل قصرى . أنطونيو مرحباً بك ،
وإليك نبأ مبهجاً لم يكن فى حسابك : اففضض سريعاً
هذا الألوكة ترّ فيه أن ثلاثة من مراكبك مليئة بأمن ،
الأساق قد بلغت إلى المرفأ سالمة ، بعد اليأس من
نجاتها ، ولن أذكر لك المصادفة التى أوصلت إلى
هذا الكتاب قبل انتهائه إليك
أنطونيو : عى لساني

باسانيو : « غاطباً برسبا » يا عجباً ! أأنت التي كانت ذلك القاضي
ولم نتيبنك ؟ !

غراتيانو : « غاطباً برسبا » : يا عجباً ! أأنت كنت ذلك الناموس
الذي انتدب ليستثبت لي قرنين ؟ !

برسبا : نعم ، ولكن ذلك الفتى لن يفعل ما ذكرت حتى يصير رجلاً
باسانيو : « غاطباً برسبا » : نعم العلامة الخلابة ، ستكون أيها ،
الأستاذ قسيمي في سريري ، وإذا أنا غبت ضجيع
امراتي

أنطونيو : « قد أتم القراءة » : يا سيدتي لقد أفضت على جميع النعم
في إفاضة واحدة : الحياة ومقوماتها ، وإن هذا الألوكة ليؤيد
تأييداً مانعاً للريب رسو سفتي ناجية في الميناء

برسبا : ثم اعلم يا لورنزو أن في حقيقة كاتبي أنباء تسرك أيضاً
برسبا : أجل ، وسأعطيها غير مأجورة ، فهذا عقد بموجبه
نزل اليهودي الغني لك ولحسيكا نزولاً قانونياً وثيقاً عن
جميع أملاكه وأمواله بعد مماته

لورنزو : أيتها السيدتان الشائقتان لقد أغدقنا المن وأمطرنا السلوى على
الجياح والعطاش

برسبا : أوشك الفجر أن يلوح ، وما أبجد عند أحد منكم إلا رغبة
في الوقوف على تفصيل هذه الحوادث ، فهلما تدخل ،

فتسألونني وأجيبيكم بهلاء عن كل ما تستوضحون
غراتيانو : حباً وكرامة . لكنني سأسأل نريسا بادئ بدء عما
إذا كانت تؤثر التريث على المبيت إلى الليلة الآتية
أو اغتنام الساعتين الباقيتين من السحر . أما أنا فلو
كان الوقت نهائياً لتمنيت عودة الظلام وقضاء ساعاته في
هناة مع كاتب القاضى ، ولن أخشى ما حييت بعد
الآن إلا أن أفقد خاتم نريسا

« بيتندان وهبط الستار »

مطابع دارالمنار بمصر
١٩٧٦

هذا الكتاب

قصة تصور كثيراً من النوازع النفسية والمعاني البشرية كتبت على شكل أحداث جرت في إيطاليا تداولتها عنها سائر الأمم . إنها قصة الحب وقصة الطمع والحقد والجبن التي لا يقدر سوى شكسبير على تلوينها بقلمه وعبقريته النادرة . إن شخصية « شيلوك » المراهي اليهودي هي الشخصية التي لا تزال نموذجاً للطمع والحرص على مر الدهور .



To: www.al-mostafa.com